جـامعـــة الأزهـــر
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
قسم الثقافة الإسلامية

بحـث بعنـوان

العقـــل الفـردي والعقل الجمعـــي وأثرهمـا في نفسيـة المدعـو

د/ محمود رشاد محمد عبد النبي
المدرس بقسم الثقافة الإسلامية
بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
جامعـة الأزهر

ملخـص البحـث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرق الخلق والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعـد؛؛

فهذا البحث بعنوان (العقل الفردي والعقل الجمعي وأثرهما في نفسية المدعو) وقد جاءا متناولاً قضايا عقلية فكرية تفيد الداعية في دعوته، وتفتح له مجالاً رحباً في فهم عقلية المدعو، وكيفية إقناعه وإرشاده .

ولقد ركز هذا البحث على العقل الفردي للمدعو، والعقل الجمعي للمدعوين،وما يؤثر فيهما، وكيفية دعوتهما، والعقل الفردي، هو عقل الإنسان الخاص به، الذي يؤثر في الآخرين، ويتأثر بهم، والذي إذا تُرِكَ دون مؤثرات نفسية واجتماعية يظل على صوابه وتجرده، وإذا تأثر بالمؤثرات الخارجية وسار وسط العقول الأخرى، وضيّع قيمة التدبر والتفكر تحول إلى مَكّون من مكونات العقل الجمعي السائد .

وأما العقل الجمعي فهو الذي ينشأ من اجتماع الأفراد بعضهم مع بعض، واحتكاك أفكارهم، وتقابل وجداناتهم ونزعاتهم، وهو الذي تكوّن من ائتلاف الجماعة، وتغذى على مالها من عوائد وأعراف .

وهو ما يطلق عليه البعض (فكر القطيع) [١] .

وتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، وخاتمة .

أما المقدمة، ففيها عناصر المقدمة العلمية .

وأما التمهيد، ففيه التوضيح بعنوان البحث ومصطلحاته التي تستحق التعريف .

وأما الفصل الأول، فجاء بعنوان (أثر العقل في هداية النفس) ووضحت فيه أن الإسلام اهتم بالعقل، ودعا إليه، وحث عليه، لذا نجد كثرة دوران مادته في القرآن للتنويه بشأنه، والإعلاء من ذكره، ولقد بين ذلك الفصل أن الدعاة الثقات والأئمة الأعلام استخدموه دليلاً هادياً للنفس الإنسانية للإيمان بالله سبحانه وتعالى، من خلال المحاورات والمناظرات والمجادلات والرد على التساؤلات، والتي تعتمد على العقل المتدبر المتأمل في خلق الله، الناظر في آلائه ونعمه. ثم وضحت شيئاً آخر يعتمد على الفهم العقلي والنظر والتدبر وهو الفهم للنصوص الذي يدفع المدعوين إلى الإقبال على الدين لما يرون من يُسْر الشريعة وموائمتها للظروف والأحوال، وهذا اكبر دليل على أن التشدد في الدين إنما ينبع من اختفاء هذه القيمة الحقيقية، وهي قيمة فهم النصوص، ومعرفة فحواها .

وأما الفصل الثاني فجاء بعنوان (المؤثرات في العقل الفردي وضوابطه) وبينت فيه أن العقل الفردي يتأثر بالوراثة، والإلف عن الآباء، والاتباع الأعمى للسلطة، وأن العقل الفردي لكي يحفظ من التأثير الخارجي، لابد أن ينضبط بقواعد التفكير السليمة، وأن يُدْعَى المرء للتفكير الهادئ البعيد عن الغوغائية وهو ما يعرف بالتفكير مثنى وفرادى .

وأما الفصل الثالث فجاء بعنوان (المؤثرات في العقل الجمعي وموقف الداعية منها) وبينت فيه أن العقل الجمعي الذي ينساقُ أغلبُ الناس وراءه ويكون لهم بمثابة قوة ضاغطة يتأثر بالعادات والتقاليد، والتربية المتحزبة، والهزيمة النفسية، وبلادة

---

(١) فكر القطيع مستمد من كلمة القطيع البشري Herd humam وهو اصطلاح يطلق في المجتمع الإنساني على جماعة من الأفراد تحركها رغبات مشتركة تتبع زعيماً وتتميز بضعف التنظيم وأنماط الرقابة، وتستعمل الكلمة بصفة اصطلاحية للدلالة على العمال والدهماء، ويقال روح القطيع . وهو المعنى المراد . herd spirit لرغبة بعض الأفراد في أن تتبع بصفة عمياء معتقدات وأساليب الجماعة، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د/ أحمد زكي بدوي، حرف H، ص ١٩٣، مكتبة لبنان، بدون

الحواس، والإعلام الموجه، والناس قد يندفعون لفعل أشياء غير صائبة؛ يقودهم في ذلك العقل الجمعي السائد المتأثر بالمؤثرات الخارجية، مثل قضية الثأر وتحول الرياضة إلى تعصب أعمى .

وأما الفصل الرابع فجاء بعنوان (أهم الأساليب الدعوية الملائمة للعقل) وبينت فيه أن المدعو يحتاج إلى أساليب دعوية عقلية ملائمة له؛ حتى ينصاع وراء الحق، وذكرت في ذلك الفصل أهم هذه الأساليب، من أسلوب الاحتكام إلى النفس، وأسلوب التشويق والإثارة، وأسلوب الالتفات، وأسلوب الإقناع العقلي، وكل هذه الأساليب العقلية وغيرها، لو وُفَق الداعي في العمل بها كان لكلامه الأثر الطيب، والاستجابة المباركة .

ثم تأتي خاتمة البحث وفيها أهم النتائج والتوصيات ثم ينتهي البحث بحول الله وقوته بثبت المصادر والمراجع،والحمد لله أولاً وأخراً، وصل الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الكلمات الدلالية:

العقل–الجمعي–الفردي–المدعو–نفسية

المقدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين الآثمين، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت، وهو على كل شيء قدير، اللهم إنا نشهدك، ونشهد حملة عرشك، وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله وحدك لا شريك لك .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك، اللهم صل عليه وعلى آل بيته الطيبين الأطهار، أفضل سلام، وأكمل تسليم ... أما بعد؛؛

فإن العقل ميزة إلهية، ومنحة ربانية، وهبها الله للإنسان، وميزه به على بقية المخلوقات، ليتعرف على ربه، ويسير على نهجه،وشرع له من الشرائع، وحدّ له من الحدود، وسنّ له من السنن، ليجنبه الزلل، والخلل، والخطل، ويوفقه لمعرفة مراد ربه،والانتهاج بنهجه، فيصبح العقل دليلاً على الخير، وهادياً للحق، ومرشداً إلى طريق الله المستقيم .

ولكن هذا العقل قد يتعرض للمؤثرات الخارجية، والآفات الفكرية، فيميل عن جادة الطريق، ويسير وفق عقلية (القطيع) إلى غير رشادٍ، وينساق إلى طريق الخسران، لذا كان من الضروري بيان المؤثرات الخارجية في العقل من العادات والتقاليد، والإعلام الموجه، والتربية المتحزبة ... الخ والتي تجعل العقل الفردي يسير وفق العقل الجمعي الذي يمثل قوةً ضاغطة على المجموع، فينطلقون في تصوراتهم في الحياة وفقه وكأنه الحق، فيفقد الإنسانُ التفكير الجيد، فيما يعن له من أمور، لذا يأتي هذا البحث ويوضح فضيلة التفكير السليم، والمؤثرات في العقل الفردي، والعقل الجمعي، وكيفية الحفاظ على التفكير السليم من العوامل الخارجية، ثم يأتي في خاتمته ويبين كيفية دعوة هذا العقل بالأساليب البناءة المؤثرة .

أهميــة الموضــوع:

١ . إبراز قيمة العقل في التدبر والتأمل في ملكوت الله سبحانه وتعالى، ليتعرف على دلائل القدرة،ودلالات الحكمة التي أودعها الله في خلقه، فيزداد القلب اطمئناناً والنفس اقناعاً، والعقل هدايةً .

٢ . بيان أن (فكر القطيع) أو العقل الجمعي يؤثر في فكر الفرد . إن لم ينضبط بقواعد الفكر السليمة . ويجعله يسير وراءه دون أدنى اعتراض .

٣ . بيان أن قيمة الفهم للنصوص من أجّل النعم التي ينعم الله بها على عباده، لأنه من خلال هذه النعمة يُسْتَنبط من الأحكام ما يواكب العصر، ويفي بالمستجدات من الأمور، مما يبقي الإسلام غضاً طرياً صالحاً ومصلحاً لكل العصور والأزمان .

٤ . توضيح أن العقل إذا ضُبِطَ بقواعد التفكير السليمة، ودُعِي للتفكير الهادئ (مثنى أو فرادى) وتغلب على المؤثرات الخارجية، أصبح ذلك العقل الفردي عقلاً مدركاً واعياً متدبراً، يسير وراء الحق دون إباءٍ أو هوى .

٥ . دعوة الدعاة إلى مراعاة الأساليب الدعوية الملائمة للعقل، حتى يمكنهم التأثير في نفسية المدعوين، لأن العقل إذا اقتنع بالشيء، انساقت النفس وراءه بالرضا والقبول .

أسبـبا اختيـار الموضــوع:

١ . بيان أن العادات والتقاليد، والأعراف، والإعلام الموجهة، .. تشكل فكراً عاماً يمثل ضغطاً اجتماعياً على الأفراد، يؤثر فيهم ويتأثرون به، ويكونّ عقلاً جمعياً يؤثر على عقل الفرد، فيجعله يسير وراءه، ويخشى عصيانه، حتى

لا يوصف بأوصاف هو غني عنها .

٢ . توضيح أن العقل الجمعي قد يكون مطلوباً، وقد يكون مذموماً، فإذا كان ضاغطاً على الخير والالتزام به فإنه يكون مطلوباً، وإذا كان ضاغطاً على فعل الشر والسير وراء الهوى والظن كان مذموماً ويجب مقاومته، وهذا يدفع الداعية إلى معرفة واجبه نحو العادات والتقاليد والأعراف، فلا يقف منها موقف التصادم بإطلاق ولا يقف منها موقف المتفرج، بل يتعامل معها معاملة الفاحص الدقيق، وهو ما سيتضح في هذا البحث إن شاء الله .

٣ . أهمية الدعوة الفردية، لأنها تُمكِّن من التفكير الهادئ المؤثر، وتسهل عملية الاقناع، لأنها ترتكز على العقل الفردي، الذي يتأثر بسرعة بالدعوة، عند خلوه من المؤثرات .

٤ . الفهم لموضوع العقل الفردي والجمعي أحد العوامل الرئيسية في نجاح تعامل الداعية مع المدعو .

منهــج البحـــث:

لقد سلكت في هذا البحث عدة مناهج:

١ . المنهج التاريخي (وهو نوع من المعايشة لأحداث الماضي في ضوء ما حققته الأحداث الماضية من آثار ووثائق ونصوص، والقيام بتوثيقها، وصحة نسبتها إلى عصرها وإلى أصحابها من خلال طرق النقد والتمحيص) [١] .

٢ . المنهج التوثيقي (وهو المنهج الذي يقوم على توثيق النصوص قبل اعتمادها مصدراً للحكم) [٢] .

٣ . المنهج الاستنباطي الاستقرائي (هو استنتاج قضية عامة من قضايا جزئية، واستخلاص نتائج من شيء نعرفه معرفة يقينية تلزم عنه) [٣] .

وقد استخدمته عند استنباط النتائج من المقدمات .

طريقــة البحـــث:

سلكت في هذا البحث ما يلي:

١ . مراعاة الحيدة العلمية في البحث، خاصةً في الأمور التي فيها مقارنات .

٢ . الحرص على الأمانة العلمية، وعزو كل نصٍ إلى قائله .

٣ . ذكر الآيات القرآنية بدقة، وتخريج الأحاديث من مظّانها، وإذا كان الحديث في الصحيحين ذكرت رقم الحديث وبابه وكتابه، وإذا كان في غيرهما زدت عملاً آخر وهو الحكم عليه وبيان درجته .

٤ . توضيح الكلمات الغامضة، سواء كانت في آية أو حديث أو أثرٍ أو نص، ليكون المعنى واضحاً .

٥ . توضيح عنوان البحث توضيحاً ينفي الجهالة بمقصوده ودلالته .

خطــة البحـــث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول وخاتمة .

أما المقدمة: ففيها عناصر المقدمة العلمية .

وأما التمهيد: فبينت فيه عنوان البحث، والمصطلحات التي تستحق التعريف كتوطئة بين يدي البحث .

وأما الفصل الأول فجاء بعنوان (أثر العقل في هداية النفس) وتكون من ثلاثة مباحث:

---

(١) د/ حلمي عبد المنعم صابر،مناهج البحث العلمي وضوابطه، ص ٤٣، ٤٤، ايجيبت ستار للطباعة، ط/٢، سنة ٢٠٠٠م .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦ .

(٣) المرجع السابق،ص ٦٤ .

المبحث الأول: اهتمام الإسلام بالعقل وأثره في نفسية المدعو .

المبحث الثاني: استخدام الدعاة الأعلام العقل دليلاً هادياً للنفس الإنسانية .

المبحث الثالث: فهم العقل للنصوص وأثره في نفسية المدعو .

وأما الفصل الثاني فجاء بعنوان (المؤثرات الخارجية في العقل الفردي وضوابطه) وتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المؤثرات الخارجية في العقل الفردي .

المبحث الثاني: ضبط العقل الفردي بقواعد التفكير السليمة .

المبحث الثالث: ضبط العقل الفردي بالتفكير (مثنى وفرادى) .

وأما الفصل الثالث فجاء بعنوان (المؤثرات في العقل الجمعي وموقف الداعية منها) وتكون من خمسة مباحث:

المبحث الأول: العادات والتقاليد .

المبحث الثاني: التربية المتحزبة .

المبحث الثالث: الهزيمة النفسية .

المبحث الرابع: بلادة الحواس .

المبحث الخامس: الإعلام الموجه .

وأما الفصل الرابع فجاء بعنوان (أهم الأساليب الدعوية الملائمة للعقل) وتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: أسلوب الاحتكام إلى النفس .

المبحث الثاني: أسلوب التشويق والإثارة .

المبحث الثالث: أسلوب الالتفات .

المبحث الرابع: أسلوب الإقناع العقلي .

وأما الخاتمة، ففيها أهم النتائج والتوصيات .

وأما الفهارس: فسلكت فيها طريقة تقديم ما يستحق التقديم، فقدمت كتاب الله سبحانه وتعالى، ثم سنة رسول الله ﷺ، ثم شروح وتفاسير القرآن، ثم شروح سنة رسول الله ﷺ، ثم رتبت بقية المراجع حسب حروف الهجاء .

ولله الفضل والمنة وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيـــد
التعريف بالعقل الفردي والجمعي

إن من أولى خطوات البحث العلمي التعريف بعنوان البحث لغوياً واصطلاحياً، لتحديد ماهيته، والتفريق بينه وبين غيره .

أولاً: التعريف اللغوي لكلمة (عقل):

جاء في معاجم اللغة أن:((العقل) الحجر والنهي ضد الحمق والجمع عقول، ورجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه، وقيل العاقل هو الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، والعقل: التثبث في الأمور، وسُمِيَ العقل عقلاً لأنه يعْقلُ صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه، وقيل: العقل هو التميز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان، ويقال لفلان قلب عقول، ولسان سؤول، وقلب عقول أي فهمٌ) [١] .

والعَقْلُ: الدِيَةُ، والعقل: ثوب أحمر، والعقولُ: الدواء الذي يمسك البطن، والعقيلة: كريمة الحي،وعقيلة كل شيء أكرمه،وعقلت المرأة شعرها: مشطته، والعاقلة: الماشطة [٢] و (العقل) غريزة يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب، واعتقل لسانه بالبناء للفاعل والمفعول إذا حبس عن الكلام أي منع فلم يقدر عليه [٣] .

وفي اصطلاح العلماء:

العقل هو (ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع عن المحظور والمنكر، ومن هنا كان اشتقاقه من مادة "عقل" التي يؤخذ منها العقال) [٤] .

وقيل هو: (نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية) [٥] .

وقيل هو: (جوهر مضيء خلقه الله ﷻ في الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك به المعلومات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة) [٦] .

وقيل إن العقل: (يطلق بوجه عام على ضرب من التفكير خاص بالإنسان، ليقابل الغريزة والإحساس، وإليه تنسب العلميات الذهنية العليا كالحكم والاستدلال، وبه يميز الحق من الباطل، والخير من الشر، والحسن من القبيح .

ويلحظ من جانبين: ذاتي Subjectif وموضوعي Objectif ويراد بالأول ما يكشف عن العلاقات الثابتة والضرورية بين الأشياء أو الأفكار، فهو ملكة الإدراك السامي والمنطقي وقد يسمى العقل المكون Laraisiom Constituamte . لأنه يدرك ويكون العلاقات والمبادئ الثابتة والضرورية، ويراد بالثاني المبادئ المقررة والأسباب الواضحة؛ لأنه ثمرة ما يكشف عنه العقل المكون من حقائق كلية ومبادئ ثابتة، وكيفما كان الجانب الثاني، وهو

---

(١) لسان العرب،للإمام/ أبي الفضل جمال الدين بن منظور،مادة:عقل، ج ١١ ص ٤٥٨، ٤٥٩، دار الفكر، بدون .

(٢) الصحاح في اللغة والعلوم معجم وسيط تجديد صحاح، العلامة: الجوهري، والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية، إعداد وتصنيف: نديم مرعشلي، وأسامة مرعشلي، مادة: عقل، ص ٧٦٢، دار الحضارة العربية، بيروت، ط/ ١٩٧٥م .

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، تأليف العلامة: أحمد بن علي القمري الفيومي، ج ٢ ص ٤٢٣،، مادة: عقل، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، بدون .

(٤) عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، ص ١٠، دار المعارف .

(٥) ينظر: د/ سمير محمد السيد، مدخل إلى دراسة الثقافة الإسلامية، ص ١٦٤، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، سنة ٢٠٠١م .

(٦) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ص ٤٠، ٤١، طبعة دار القلم، بيروت .

الجانب الموضوعي فإنه يخضع لظروف الزمان والمكان، ويتأثر بالمؤثرات الاجتماعية المختلفة، والمبادئ والقيم) [١] .

ويشتق من العقل كلمة (عقلية) ويشير هذا المصطلح (في استعماله الشائع إلى المظاهر المميزة للتصرفات الصادرة عن العقل في أي كائن حي، مراعياً ما بين الأنواع من فروق كمية وكيفية في هذه التصرفات، وأحياناً تستخدم هذه الكلمة للدلالة على القدرة العقلية العامة) [٢] .

من خلال التعريج على هذه التعريفات نجدها يكمل بعضها بعضاً، لأن كل تعريف يضيء لنا جانباً من جوانب العقل، الذي هو من أجل نعم الله على عباده، فبه تكون المسئولية والتكليف؛ وبه يدرك الإنسان حقائق الأشياء، وبه يسترشد الإنسان الطريق المستقيم، وبه يعقل الإنسان أموره ويتدبرها، وبه يمتنع الإنسان عن المخاطر والمحظورات؛ لإدراكه خطرة هذه الأشياء، ولهذا يقول الشاعر:

إذا لم يكن للمرء عقلٌ فإنه وإن كان ذا بيت على الناس هين

ومن كان ذا عقل أجل لعقله وأفضل عقل عقل من يتدين [٣]

فالتعريف اللغوي يتفق مع التعريف الاصطلاحي في المضمون والهدف، حيث يشتركان في معنى التعقل، والتدبر، والتفكر، والمنع، والحجر، والإدراك، والتصور .

فالعقل المتدبر المتفكر المدرك يصل إلى معاني عظمة الله في خلقه؛ فيزداد يقيناً بأمر الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا عدّ الإمام علي بن أبي طالب . كرم الله وجهه . العقل من المكارم التي ينبغي على الإنسان أن يتحلى بها، يقول ~ :

إن المكارم أخلاق مطهرة فالعقل أولها والدين ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف سادسها

والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشيها

والعين تعلم من عيني محدثها إن كان من حزبها أو من أعاديها

والنفس تعلم أني لا أصدقها ولست أرشد إلا حين أعصيها [٤]

هذا هو العقل الذي كرم الله به الإنسان، والذي به يعيش في أمن وأمان إذا فكر وتدبر وعرف أمر الرحمن في هذه الحياة وعمل به .

ومصطلح (الفردي) مأخوذ من كلمة فرد (ويرى بعضهم أن كلمة "فرد" مرادفة لكلمة "شخص" Personne . أو كائن إنساني human . ويقصد هؤلاء إلى تأكيد صفة "التفرد" في الكائن الإنساني أكثر من "الفردية" ومعظم علماء النفس الاجتماعي يستخدمون كلمة فرد بهذا المعنى، وأما علماء الاجتماع فيميلون إلى التفرقة بين "الفرد" و "الشخص" فالشخص هو الذي يتمتع بوضع اجتماعي معين، فنحن نأتي إلى الدنيا أفراداً ثم نحتل أوضاعاً اجتماعية معنية ونصبح "أشخاصاً"، وهم يعنون "بالفرد" تكوينه كوحدة بيولوجية وهذه الناحية الفردية من الإنسان تدخل في دراسة علم الحياة وعلم النفس، وأما دراسة الكائن الحي "كشخص" ففي

---

(١) معجم العلوم الاجتماعية، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، تصدير ومراجعة: د/ إبراهيم مدكور، حرف العين . عقل .، ص ٣٩٩، الهيئة المصرية العام للكتاب، سنة ١٩٧٥م . (٢) المرجع السابق، ص ٤٠٠ .

(٣) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ص ٤٤، طبعة دار القلم، بيروت .

(٤) المستطرف، ص ٤١ .

دراسة العلاقات الاجتماعية المختلفة، وعلى ذلك "فالشخص" هو "الفرد" الذي يكتسب "الشخصية الاجتماعية" وتتحدد علاقاته المختلفة بالآخرين) [١] .

(ومصطلح "الجمعي" مشتق من الاجتماع ويراد به ما ينشأ عن اجتماع الأفراد بعضهم مع بعض،واحتكام أفكارهم،وتقابل وجداناتهم ونزعاتهم) [٢]،وعليه فإن العقل الجمعي هو (العقل الذي تكون من ائتلاف الجماعة وتغذى على ما لها من عوائد وأعراف) [٣] .

مما سبق يتبين أن مصطلح (العقل الفردي) يراد به عقل الإنسان بمفرده، الخاص به والذي يؤثر في الآخرين ويتأثر بهم؛ والذي إذا تُركَ دون مؤثرات نفسية واجتماعية يظل على صوابه وتجرده، وإذا تأثر بالمؤثرات الخارجية وسار وسط العقول الأخرى وضيع قيمة التدبر تحول إلى مُكوّن من مكونات العقل الجمعي السائد .

وأما العقل الجمعي (فهو الذي ينشأ من اجتماع الأفراد بعضهم مع بعض، واحتكاك أفكارهم، وتقابل وجداناتهم ونزعاتهم، وهو وضع خاص له مستلزماته ومقتضياته، فيتجه بهم وجهات معينة في مختلف شئون حياتهم، وفي علاقة بعضهم مع بعض، وهذا الوضع هو العقل الجمعي، وهذه المستلزمات والمقتضيات الناشئة عنه هي "الظواهر الاجتماعية" فهذه الظواهر الاجتماعية ليست إذن من صنع الأفراد، ولا نتيجة لعملهم بوصفهم أفراداً، وإنما نشأت على إثر اجتماعهم، وجاءت نتيجة للوضع الخاص الذي أحدثه هذا الاجتماع وهذا هو الذي يعنيه علماء الاجتماع إذ يقررون أن الظواهر الاجتماعية من صنع "العقل الجمعي" ولاشك أن اجتماع الأفراد أو الوضع الخاص الذي يحدثه اجتماعهم شيء آخر خارج عن الأفراد أنفسهم، وإن كان لا يمكن حدوثه بدونهم) .

---

(١) معجم العلوم الاجتماعية، حرف الفاء، ص ٤٤٩ . (٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٤٤٩ .

(٣) أ.د/ طه حبيش، الأخلاق في إطار النظرية التطورية، ص ١٣٢، كلية أصول الدين بالقاهرة، سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م .

الفصـــل الأول
أثـــر العقـــل في هدايـــة النفـــــس

المبحث الأول: اهتمام الإسلام بالعقل وأثره في نفسية المدعو .

المبحث الثاني: استخدام الدعاة الأعلام العقل دليلاً هادياً للنفس الإنسانيــة .

المبحث الثالث: فهم العقل للنصوص وأثره في نفسية المدعو .

المبحـــث الأول
اهتمام الإســـلام بالعقل وأثره في نفسيـة المدعــو

فضّل الله بني آدم وكرمهم وميزهم على بقية خلقه، ومن أجّل ما وهبهم ورزقهم نعمة العقل، والقدرة على التفكير، وأكبر دليل على ذلك كثرة دوران مادة "العقل" و "الفكر" بمشتقاتهما في القرآن الكريم .كتاب الدعوة الأول، فلقد وردت مادة (العقل) تسع وأربعون مرة من بينها ثلاث عشرة مرة بصيغة (أفلا تعقلون) وثماني مرات بصيغة (لعلكم تعقلون) [١] ليكون ذلك دافعاً للإنسان لاستخدام عقله والتفكر في هذا الوجود ژ گ گ گ ں ں ژ الروم: ٢٨ .

أما الذي يهمل عقله فإن الله تعالى يقول:ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ژ الأنفال: ٢٢، ويقول تعالى: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ژ يونس: ١٠٠، ويقول تعالى: ژ ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ژ الملك: ١٠، هكذا كان مصير الذين أهملوا عقولهم، وصدق فيهم قول الحق: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ژ الأعراف: ١٧٩ .

ولقد وردت (مادة "الفكر" في القرآن ثماني عشرة مرة دُعِيّ الإنسان خلالها إلى التفكير في نفسه وفيما حوله ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ الروم: (٨).

ژ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ژ آل عمران: ١٩١ .

ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ژ سبأ: ٤٦ وقد تكرر قوله تعالى ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ژ الزمر: ٤٢ أربع مرات) [٢] .

مما سبق يتبين أن الله سبحانه وتعالى دعا عباده إلى التفكر والتأمل والتدبر في ملكوته وخلقه، حتى يوقنوا بقدرته وإرادته وهيمنته على خلقه؛ فيطيعوه وينقادوا لأوامره؛ فالعقل المتدبر المفكر يؤثر في النفس الإنسانية بالقبول،والرضا واليقين؛ لذا وصف الله أولي الألباب بأنهم يتفكرون في خلق السموات والأرض، ويصوّبون أنظارهم إلى قدرة الله، فيخرجون من هذا النظر بقولهم ژ ہ ہ ہ ہ ھ ژ آل عمران: ١٩١ .

وعلم نفس الدعوة يهتم بالعقل المتجول في ملكوت الله، المتدبر في صنيعه، ويعدِّه أهم مرتكزاته؛ لأنه يأخذ بناصية النفس الإنسانية إلى الخير والرشاد، لأنه من خصائصه أنه يتأمل فيما يدركه ويقلبه على وجوهه ويستخرج منه بواطنه وأسراره ويبني عليها نتائجه وأحكامه [٣] .

---

(١)،(٢) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، مادة: عقل، ص ٦١٥، ٦١٦، ومادة: فكر، ص ٦٧٤، مكتبة نريد الإسلام، بدون .

(٣) عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، ص ٤ بتصرف يسير، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون .

المبحـث الثانـــي
استخدام الدعاة الأعلام العقل دليلاً هادياً للنفس الإنسانية

لقد استخدم الدعاة الأعلام العقل المتجول في ملكوت الله، المفكر في آلائه ونعمه دليلاً هادياً للنفس الإنسانية إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وفي مقدمة هؤلاء الدعاة الأعلام الأئمة الأربعة ﷺ، فهذا الإمام مالك . ~ . إمام دار الهجرة سأله الرشيد عن الدليل على وجود الله؟ فاستدل له باختلاف اللغات، والأصوات، والنغمات .

وهذا الإمام الشافعي . ~ . إمام أهل السنة، وفقيههم وعالمهم المُبرَّز، يأتيه رجلٌ يسأله عن الدليل على وجود الله سبحانه وتعالى؟

فقال ... ورقة الفرصاد (التوت) !

تأكلها الشاة فتخرج لنا لبناً .

وتأكلها النحلة فتخرج لنا عسلاً .

وتأكلها الدودة فتخرج لنا حريراً .

وتأكلها الظبية فتخرج لنا مسكاً .

فلم يحدث أن أخرجت النحلة لبناً، أو الشاة عسلاً، أو غير ذلك، مما يدل بأقل تفكير خالٍ عن المؤثرات الخارجية أنها تتلقى أوامرها وأسلوب حياتها من واحدٍ لا شريك له، وإلا اضطرب نظام الكون، واختلت نواميسه، وصدق الله ﷻ إذ يقول: ژ ۇ و و ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۄ ۄ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ الأنبياء: ٢٢ .

وهذا الإمام أبو حنيفة ﷺ الإمام الورع والداعي الحاذق، يأتيه بعض الزنادقة يسألوه عن وجود الله سبحانه وتعالى؟ فقال لهم دعوني فإني مفكر في أمر قد أُخبِرتُ عنه؛ ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحدٌ يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجئ وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام، حتى تتخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد، فقالوا هذا شيء لا يقوله عاقل! فقال ويحكم! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة أليس لها صانع؟!! فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه .

ونلاحظ هنا أن الإمام أبا حنيفة استخدم النظر كدلالة على إقناع العقل وهداية النفس ومن هناك ندرك أهمية مراعاة العقل في هداية نفس المدعو .

وهذا الإمام أحمد بن حنبل ﷺ سئل عن وجود الله سبحانه وتعالى؟ فاستدل بتفكر العقل في البيضة؛ فقال: (ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل وصوت حسن مليح إذا خرج منها الدجاجة، ألا يدل ذلك على وجود الله سبحانه وتعالى!!) [١] .

فهؤلاء الأئمة الأربعة . كنموذج للدعاة الأعلام . يعلمو الدعاة وجوب الاهتمام بمناقشة العقل الفردي عند الدعوة، حتى تطيب بالإيمان نفوس المدعوين؛ فالدعوة الإسلامية ليست قوالب جامدةً بعيدةً عن العقل، والتفكر، والتدبر، وإنما هي آيات عقلية، ودلالات يقينية ترسم خط الوصول إلى الله سبحانه وتعالى .

---

(١) الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج ١ ص ٧٧، المجلد العربي، بدون .

ومما تجدر الإشارة إليه كذلك؛ أنّ الشعراء العقلاء؛ عندما كانوا يسألون عن وجود الله؛ كانوا يُجيبون بالأدلة العقلية التي تبرهن على وجوده سبحانه وتعالى .

(فهذا أبو نواس [١] يسأل عن وجود الله فقال:

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات بأحداق هي الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس لـه شريك

وقال ابن المعتز [٢]:

فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد) [٣] .

فالعقل أحد الأركان الهامة في الإقناع والإرشاد، والخطأ كل الخطأ أن يفهم بعض الدعاة أن الدعوة لا تحتاج إليه؛ لأنهم بذلك يضربون بالآيات الكثير عرض الحائط، ويضيعون قيمة الفهم في ذلك الدين العظيم .

---

(١) أبو نواس: هو الحسن بن هانئ، ولد سنة ١٣٦هـ، وقيل ١٤٠هـ، وانتقلت به أمه إلى البصرة بعد وفاة أبيه وعمره سنتان، وقيل ولد بالبصرة وأن أباه انتقل إليها من الأهواز قبل مماته، نشأ في أسرة فقيرة معدمة، واتجه في أول حياته للحرف المختلفة ثم أخذ يجلس إلى مجالس الشعراء والأدباء في البصرة والكوفة وغيرهما، وأحبّ جارية تدعى (جِنَان) كانت لآل عبد الوهاب الثقفي، أحبها حباً عميقاً وكتب فيها أرق أشعاره، واشتهر بشرب الخمر لمحاولته نسيان حبه هذه الفتاة، وهو أحد الشعوبيين الغلاة يمدح الفرس ويذم العرب في شعرٍ واضح، واشتهر بشعر الخمريات والغزل والمدح، إلا أنه في آخر حياته رجع إلى ربه، وأنشد الأبيات التي تدل على الزهد والورع والخوف من الله سبحانه وتعالى، وتوفى سنة خمس وقيل ست، وقيل سبع وتسعين ومائة من الهجرة ببغداد، ودفن بمقابر الشويذي، (ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ، تحقيق وضبط: أحمد عبد المجيد الغزالي، ص و ـ ص بتصرف يسير)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون .

(٢) ابن المعتز: هو عبد الله بن المعتز الخليفة العباس، ولد في بغداد ونشأ فيها بعيداً عن البلاط ودسائسه، حتى استخلف المقتدر وثار عليه بعض رؤساء الجند والكتاب فخلعوه وحملوا ابن المعتز إلى العرش وبايعوه بالخلافة ولقبوه المرتضى بالله، ولد ٢٤٩هـ، ولم يدم ملكه كثيراً بل تغلبّ عليه أنصاره وقتلوه وبعثوا به جثة هامدة إلى أهله فلفوه بكساء ودفنوه في خرابة قرب داره، اقتبس ابن المعتز آداب العرب وعلومهم من أبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب، فخرج شاعراً مطبوعاً جيد القريحة، رقيق الألفاظ والمعاني وكانت ثقافته عربيةً صرفاً لم يتأثر بالنهضة الفكرية العباسية، وكان يكثر من التشبيه في شعره، وكان يقتفي آثار الشعراء السابقين مثل امرئ القيس، والأخطل، وتوفى عام ٨٦١هـ. ديوان ابن المعتز، دار بيروت للطباعة والنشر، ص ٥، ٦، ط/١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

(٣) المرجع السابق، ص ٧٧ .

المبحـث الثالـث
فهـم العقل للنصوص وأثره في نفسيـة المدعـو

إن نعمة الفهم للنصّ من أجّل النعم التي ينعم الله بها على عباده، فعن حميد بن عبد الرحمن قال: سمعت معاوية خطيباً يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: ﴿ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ﴾ (١) .

فتوزيع العلم على الناس ونثره على أفكارهم وهم جلوس بين يدي رسول الله ﷺ متساوي، ولكن الله يقسم الفهم بينهم حسب ما يفتح الله به على كل واحد منهم من فهوم.

(ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين . أي يتعلم قواعد الإسلام . وما يتصل بها من الفروع ويفهمها فقد حُرِمَ الخير) (٢) .

فعطاء الفهم من أجَل العطاءات التي يهبها الله لعباده؛ لأنهم من خلال هذه النعمة يستنبطون من النص ما يواكب العصر، ويفي بالمستجدات من الأمور .

وسيدنا المصطفى ﷺ جَعَلَ الذين يتفقهون في الدين، ويتدبرونه من خيار الناس .

فعن أبي هريرة ﷺ قال: ﴿ سُئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم، قال: أكرمهم عند الله أتقاهم، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألوني، قالوا نعم قال: فخياركم في الجاهلية، خياركم في الإسلام إذا فقهوا ﴾ (٣) .

والرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ اعتبروا أن العلم الذي لا فهم فيه لا خير فيه .

يقول سيدنا علي ﷺ: ﴿ الفقيه حق الفقيه من لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخص لهم في معاصي الله، إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها ﴾ (٤) .

فالأمة الإسلامية أمة وثَّابة إلى الخير ،قد يعترضها بعض المشكلات، والمستجدات؛ فلا تقف أمامها حائرة؛ لأن دينها يدعو العلماء الأجلاء فيها إلى الاجتهاد في هذه الأمور؛ والاجتهاد أبرز شيء فيه الفهم، والعقل مصدر ذلك الفهم؛ وأكبر دليل على ذلك وصية عمر بن الخطاب ﷺ لولاته بالفهم لما فيه من الخير .

روى البيهقي أن عمر ﷺ كتب إلى أبي موسى ﷺ ﴿ الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في القرآن والسنة فتعرف الأمثال والأشباه ثم قس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أحبها إلى الله وأشبهها فيما ترى ﴾ (٥) .

وأهمية هذا الأمر في نفسية المدعو؛ هو أن المدعو عندما يسمع أو يقرأ فتاوى العلماء الذين نظروا إلى فحوى النص،

---

(١) رواه البخاري، كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ج ١ ص ٢٤، دار إحياء الكتب العربية، بدون .

(٢) فتح الباري، بشرح صحيح البخاري،، للإمام/ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ج ١ ص ١٩٨، دار الريان للتراث، ط/١، سنة ١٤٠٧هت/ ١٩٨٦م .

(٣) رواه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة يوسف، ج ٣ ص ١٤٢، مرجع سابق .

(٤) رواه الدارمي، للإمام/ أبي محمد عبد الله بن بهرام الدارمي، باب: من قال العلم الخشية وتقوى الله، ج ١ ص ٨٩، دار الفكر، بيروت، بدون .

(٥) السنن الكبرى، لإمام المحدثين الحافظ الجليل أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، باب: ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي، ج ١٠ ص ١١٥، دار الفكر، بيروت، بدون .

ووسعهم النص، واقتضت المصلحة ذلك، يرضى نفسياً بهذه الفتوى طالما أن المفتي بها استجمع شروط الفتيا، وساعتها لا يسخط ولا يغضب ولا يتلفظ بالألفاظ المستكرهة، لأن النص يتحمل هذا المعنى أيضاً .

وخير شاهد على ذلك ما رواه ابن عمر ﷺ قال: ﴿ قال النبي يوم الأحزاب لا يصلين أحدٌ العصر إلا في بني قريظة فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيهم، وقال بعضهم بل نصلي لم يُرْد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم ﴾ (١) .

وفي رواية مسلم: ﴿ فتخوف ناس فوت الوقت فصّلوا دون بني قريظة، وقال آخرون لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله وإن فاتنا الوقت، قال: فما عنف واحداً من الفريقين ﴾ (٢) .

فبعضهم فَهِمَ أن الأمر المقصود منه المبالغة في الإسراع، وبعضهم لم يفهم هذا وأخذ بظاهر النص؛ والنبي ﷺ ولم يعنف واحداً منهم؛ لأن النص يقبل هذه الفهوم .

والنص إذا قبل أكثر من معنى، و انصرف الذهن إلى أحد هذه المعاني فلا حرج في ذلك، بدليل أن النبي لم يعنف أصحاب الأفهام السابقة .

يقول السهيلي وغيره: ﴿ وفي هذا الحديث من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية، ولا على من استنبط من النص معنى يخصصه، وقال: كل مجتهد وافق اجتهاده وجهاً من التأويل المنضبط فهو مصيب ﴾ (٣) .

وقال النووي: ﴿ فأخذ بعض الصحابة بهذا المفهوم نظراً إلى المعنى لا إلى اللفظ، فصلوا حين خافوا فوت الوقت، وأخذ آخرون بظاهر اللفظ وحقيقته فأخروها، ولم يعنف النبي واحداً من الفريقين لأنهم مجتهدون، ففيه دلالة لمن يقوم بالمفهوم والقياس، ومراعاة المعنى، ولمن يقوم بالظاهر أيضاً، وفيه أنه لا يعنف المجتهد فيما فعله باجتهاده إذا بذل وسعه في الاجتهاد، وقد يستدل به على أن كل مجتهد مصيب ﴾ (٤) .

فهذا الفهم لسنة النبي ﷺ يدخل على نفسية المدعوين الهدوء والاطمئنان، لعلمهم بسعة الإسلام لهذه الفهوم المتعددة، وخير مثال يضرب على ذلك زكاة الفطر، فمن أخرجها حبوباً فهو جائز؛ لأخذه بظاهر النص، ومن أخرجها قيمة ونقوداً فهو جائز، لأخذه بمضمون وفحوى النص وهو إغناء الفقراء في ذلك اليوم، والإغناء يتحقق بالأمرين معاً، وممن نظر إلى فحوى ومضمون النص للإمام أبي حنيفة ﷺ جاء في الاختيار:(وصدقة الفطر نصف صاع من بر،أو دقيقه،أو صاع من شعير،أو دقيقه،أو تمر أو زبيب أو قيمة ذلك) (٥) .

يقول ابن تيمية ~ (وأما إخراج القيمة للحاجة والمصلحة أو العدل فلا بأس به) (٦) .

وهذا الفهم للنصوص يجعل المسلمين في هذه المناسبات السعيدة يشعرون بالفرح والسعادة، ولا يشعرون بالحرج

---

(١) رواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: مرجع النبي من الأحزاب، ج ٣ ص ٣٤ .

(٢) صحيح رواه مسلم، بشرح النووي، كتاب: الجهاد والسير، باب: المبادرة بالغزو، ج ١٢ ص ٩٧، دار الريان للتراث، ط/١، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

(٣) فتح الباري، كتاب: المغازي، باب: مرجع النبي من الأحزاب،ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم ج ٧ ص ٤٧٣، مرجع سابق .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب: الجهاد والسير، باب: المبادرة بالغزو، ج ١٢ ص ٩٨، دار الريان للتراث،ط/١، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

(٥) الاختيار تعليل المختار، كتاب: الصوم، باب: صدقة الفطر، ج ١ ص ٩، دار الكتب العلمية .

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن النجدي، مسألة إخراج القيمة، ج ٢٥ ص ٨٢ ، ٨٣، مؤسسة الرسالة، ط/١، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

والهم النفسي، إن أخرجوا زكاة فطرهم قيمةً؛ لعلمهم بأنهم يوافقون وجهاً من وجوه السنة النبوية المباركة .

فالداعي الحق المعتدل المقتدي بسيدنا رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين والسلف الصالح والعلماء الصادقين هو الذي يفهم أن التمسك بالدين يكون في التمسك بفحوى ومضمون النص كالتمسك بظاهر النص؛ لأن الأمرين جائزان تقبله الطبيعة اللغوية والشرعية للنص .

وتمسك بعض الدعاة بظاهر النصوص دون فهم لفحواها، والسبّ والقذف للذين يتبعون فحوى النص؛ هو أمرٌ مرفوض؛ لأنه مخالف لمنهج الدعاة المخلصين الصادقين، لذا نجد الإمام ابن القيم . ~ . يعيب عليهم هذا الصنيع فيقول:

(وما مثل من وقف مع الظواهر والألفاظ ولم يراع المقاصد والمعاني إلا كمثل رجل قيل له لا تسلم على صاحب بدعة فقَّبل يده ورجله ولم يسلم عليه، وقيل له أملأ هذه الجرة فذهب فملأها ثم تركها على الحوض،وقال لم تقل أتيني بها، وكمن قال لوكيله بع هذه السلعة فباعها بدرهم وهي تساوي مائة درهم) [١] .

فالنظر إلى ظواهر النصوص دون مراعاة للمعنى المقصود يجعل النصّ جسداً لا روح فيه، فالمعنى بالنسبة للنص كالروح بالنسبة للجسد، فحين تجرد النصوص عن مقاصدها تتحول إلى قوانين تتسم بالظاهرية والجفاف والجمود .

يقول الشاطبي: (وكلام العرب على الإطلاق لابد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ، وإلا صار ضحكة وهزأة، ألا ترى إلى قوهم فلان أسد، أو حمار، أو عظيم الرماد، أو جبان الكلب وما لا يحصر من الأمثلة لو اعتبر اللفظ بمجرده لم يكن له معنى معقول فما ظنك بكلام الله ورسوله) [٢] .

ثم قال: (ومعلوم أن اتباع ظواهر القرآن والسنة على غير تدبر ولا نظر في مقاصده ومعاقده، والقطع بالحكم به ببادئ الرأي والنظر الأول،هو الذي نبه عليه قوله في الحديث:﴿ يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ﴾ [٣] ومعلوم أن هذا الرأي يصد عن اتباع الحق المحصن، ويضاد المشي على الصراط المستقيم) [٤] .

فالأمور بمقاصدها شريطة ألا يخالف المقاصد الكلية للدين، ويحتمل النص هذا المقصد لقرينة شرعية أو عقلية، ولكن يجب أن نلاحظ أن ترك ظاهر النص بالكلية غير مقصود من كلامنا، فالتوسط في الأمر مطـوب (فالعمل بالظواهر على تتبعٍ وتغالٍ بعيد عن مقصود الشارع؛ كما أن إهماله إسراف أيضاً) [٥] .

فالوسطية في الفُتْيا يجعل المدعوين يقبلون على الدين؛ لأن النفس تميل إلى اليسر وليس العسر؛ وإن المرء ليعجب من بعض الدعاة الذين يُشّددون على الناس ويشقون عليهم بحجة الاتباع وانتهاج السلف الصالح، وهم لا يعلمون أن منهج السلف الصالح يمتاز باليسر والتوسط والبعد عن التشدد، ويمتاز كذلك بقبول الرأي والرأي الآخر،

---

(١) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، ج ٣ ص ٩٤، م ٢، طبعة دار الرقم .

(٢) الشاطبي، الموافقات، ج ٥ ص ١٤٩ .

(٣) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم، ج ٤ ص ٣١١ . ونص الحديث: عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السّهم من الرمية ينفر في النصل فلا يرى شيئاً وينظر في القدح فلا يرى شيئاً، وينظر في الريش فلا يرى شيئاً ويتمارى في الفوق ﴾ .

(٤) الموافقات، ج ٥ ص ١٤٩ .

وعدم الحكم على الاجتهاد بأنه بدعة أو ضلالة؛ لأنهم تربوا في مدرسة الهادي البشير ﷺ الذي علمهم المبادئ السامية في الدعوة ﴿ يسروا ولا تعسروا ﴾ (١) ﴿ ما خيّر بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ﴾ (٢) ﴿ لم يعنف النبي أحداً منهم ﴾ (٣) وهو الذي قال لمعاذ المجتهد فيما لم يرد فيه نصٌ ﴿ الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحبه الله ورسوله ﴾ (٤) ولا يخفى أن التزام هذا المنهج المستنير يؤثر في نفسية المدعو؛ لأنه يجعله يشعر بسماحة الدين فيزداد إقبالاً عليه، ويُشْعِر المدعوين بقيمة العلماء المجتهدين، ويزيد المجتمع محبة وتسامحاً ولا يزيده فرقة واختلافاً، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) المرجع السابق، ج ٣ ص ٤٢٠، ٤٢١ .

(١) جزء من حديث عن أنس عن النبي ﷺ قال: ﴿ يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس ﴾ صحيح البخاري .

(٢) جزء من حديث، باب: قول النبي يسروا، ج ٢٠، ذكره البخاري في صحيحه عن عائشة . رضي الله عنها . أنها قالت: ﴿ ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها ﴾ صحيح البخاري، كتاب: بدأ الخلق، باب: صفة النبي، ج ٢ ص ٢٧٣ .

(٣) سبق تخريجه ص ١٢ .

(٤) جزء من حديث ذكره الإمام أحمد في مسنده ﴿ أن النبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن يعلمهم ويقوم ببعض الأمر فيهم، قال له: كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلوا "أي ولا أقصر" فضرب النبي ﷺ على صدر معاذ وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله ﴾ المسند،للإمام أحمد،تحقيق: حمزة الزين، ج ١٦ ص ١٦٤، حديث رقم: ٢١٩٠٦، وقال: إسناده حسن، دار الحديث، ط/١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

الفصــل الثانـــي
المؤثرات الخارجية في العقل الفــردي وضوابطــه

المبحث الأول: المؤثرات الخارجية في العقل الفردي

المبحث الثاني: ضبط العقل الفردي بقواعد التفكير السليمة .

المبحث الثالث: ضبط العقل الفردي بالتفكير (مثنى وفرادى) .

المبحــث الأول
المؤثــرات الخارجيــة في العقل الفــردي

إذا تتبعنا مسيرة الوحي خلال تتابعه على الأنبياء والمرسلين، وحاولنا التعرف على أسباب معاندة الأمم لأنبيائهم؛ فلا تجد حجةً مقبولةً في منطق العقل؛ وإنما نشأت معاندتهم للوحي إما لأن الوحي يطالبهم بالتخلي عما ألفوه وورثوه عن الآباء من عادات وتقاليد موروثة وعقائد مألوفة؛ وإما متابعة للهوى، وتحصيلاً لرغائب النفوس وتحصيلاً لشهواتها، وفيما يلي بيان ذلك .

١ ـ الإلف والوراثـة عن الآبــاء:

من المعلوم أن نفوس بني آدم متباينة وأهواءها متعارضة ومتنوعة، ولكل عصرٍ أهواؤه ورغباته، ولكل بيئة اجتماعية أهواؤها ورغباتها التي تنعكس في سلوكها وعاداتها وتقاليدها، وفي علاقات الأفراد والجماعات بعضهم مع بعض وهذا ما أكده القرآن في قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﮊ هود: ١١٨، وهذا أيضاً قد أكده الواقع الاجتماعي للأمم والشعوب .

فهناك أصحاب النفوس المتسلطة الذين لا يرضون من الغير إلا الخضوع المطلق والاستسلام التام؛ فلا يرى أتباعه إلا ما يرى هو، ولا يحسنون إلا ما جعله لهم حسناً، ولا يقبحون إلا ما يراه هو قبيحاً رافعاً شعار فرعون ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ غافر: ٢٩ .

وهناك أنماط من البشر يحبون المال حباً جَماً بحيث يكون جمع المال واكتنازه من أي طريق كان هدفاً مقصوداً لهم، وغاية منشودة، بحيث يصير المال هو إلههم ومعبودهم.

وهناك نمط من البشر وصفه القرآن بأنه ﴿ أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ .

وهناك من يطغى أن رآه استغنى، وهناك .. وهناك، وكل هذه النماذج البشرية إنما ترفض الامتثال للشرع،والسماع إلى صوت العقل؛لأن استجابتها للشرع،وانقيادها لصوت العقل إنما يعارض شهواتها، وأهوائها، ومصالحها .

فالدعي إلى الله؛ عليه أن يدرك أن المدعو يتأثر بالإلف والعادة، والصوت العام في المجتمع؛ فعليه إذن أن يدعوه إلى التفكير الهادئ، والبعد عن الغوغائية والهمجية، وأن يفكر فيما يألفه ويعتاده هل هو موافق لروح الشرع أم لا؟! ولا يكن كالنماذج والأنماط البشرية التي عارضت الأنبياء والمرسلين فيما مضى، ورفضت الدعوات الإصلاحية بحجة متابعة الآباء وتقليدهم .

قال تعالى حاكياً عن قوم هود: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ الأعراف: ٦٥ – ٦٩ .

فرفعوا لواء المعارضة في وجه الدعوة الصادقة وقالوا لنبي الله هو: ﮋ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ الأعراف: ٧٠ .

وكذلك كان موقف أهل مدين من نبي الله شعيب، قال تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮊ هود: ٨٤ – ٨٦ فماذا كان موقفهم من هذه الدعوة الإصلاحية؟

لقد رفعوا لواء المعاندة والمعارضة ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ هود: ٨٧ .

وكذلك فعل أهل ثمود مع نبي الله صالح، قال تعالى: ﮋ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ ﮊ هود: ٦١ – ٦٢ .

وكذلك فعل بنو إسرائيل مع نبي الله موسى،قال تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ يونس: ٧٥ – ٧٨ .

(وهكذا تكررت هذه المواقف من نبي إلى نبي ومن أمة إلى أمة ونجد السبب واحداً إنه الإلف والتعود والتعصب لما ورثوه عن جيل الآباء والأجداد من عادات وعقائد وقعوا أسرى لها دون أن يتساءلوا حولها ليعرفوا موقعها من الصواب والخطأ، والحق والباطل .

وإنما كفاهم أنها مواريث الآباء، ومقدسات الأجداد وكان موقفهم من دعوة الرسل هو الرفض والمعاندة، وقالوا لرسلهم: ﮋ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ إبراهيم: ١٠ .

إنها نفس القضية تتكرر مع جميع الأنبياء والمصلحين، التشبث بالمواريث والتقاليد والتعصب الأعمى لها، ومحاربة كل دعوة إصلاحية جديدة تحمل معها رياح التغيير والإقلاع عن هذه المواريث) [1] .

٢ ـ الاتبـــاع الأعمى لأصحاب الملك والسلطـــان:

إن السلطان إذا صلح كانت له اليد الطولي في صلاح الأمة والعكس صحيح، (صنفان من أمتي إذا صلحوا صلحت الأمة الأمراء والفقهاء) [2] .

والمتأمل في التاريخ الإنساني يجد أن أصحاب النفوذ والسلطة . إن لم يتقوا الله . ينشأوا عقلياً جمعياً عند الناس يسير وفق ما يريدون، ويفكر فيما يحبون، وغالباً ما يدور في فلك أصحاب النفوذ في كل مجتمع طبقة من الذيول والأتباع يجعلون همهم الأكبر تلمس رضي رئيسهم، فيكونون حيث يريد وحيث يحب ويهوى، ووجودهم حول السلطان أكثر خطراً؛ لأنهم يعيثون في الأرض فساداً باسم السلطان، وساعتها يؤثر الغالب من الناس الصمت، ويغيبون العقل إيثاراً للسلامة، وهذا ما فعله فرعون عندما غيب صوت الحق في العقل الجمعي للناس بالظلم والاستبداد والقهر، وأعلنها واضحة صريحة ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ غافر: ٢٩ .

واستعان في سبيل تغييبه للعقل الجمعي لأمته بالوزراء، والمعاونين الذين يسيرون وفق خطته ومنهجه، مثل هامان، وقارون، والقرآن الكريم حين يقص علينا هذه المواقف المتعددة فإنه يختمها ببيان العواقب الوخيمة التي آلت إليها مصائر هذه الأمم لتأخذ منها العبرة والعظة وتعي دروس التاريخ ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﮊ طه: ٧٨ – ٧٩ .

وقال تعالى في شأن عاد: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ □

---

(١) د/ محمد السيد الجليند، الوحي والإنسان قراءة معرفية، ص ١٨ . ٢٠ بتصرف يسير، دار قباء للطباعة والنشر، بدون

(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقى الهندي (٩٧٥هـ)، كتاب: الإمارة، باب: الإمارة، فصل: الإكمال، ج ٦، رقم:١٤٧٠٨، ص ٣٠، مؤسسة الرسالة، ط/٢، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

ژ الحاقة: ٦ – ٨ .

وقال في حق لوط: ژ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پپ پ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ الأعراف: ٨٢ – ٨٤ .

وقال تعالى عن مصير هؤلاء جميعاً: ژ ڈ ڈ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ژ العنكبوت: ٤٠) [1] .

فالسياسة تستطيع أن تؤثر في العقل الجمعي للجماهير، وتنقلهم من مربع إلى مربع حتى لا يفكروا في أمرٍ من الأمور ويسيروا وفق ما يريد أصحابها، وخير دليل على ذلك ما فعله فرعون مع قومه، فيما قصه لنا القرآن بقوله: ژ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ژ الزخرف: ٥٤، والعاقل من الناس هو الذي يفكر في الأمور بتعقل وتؤدة حتى يبصر الحق، ويبتعد عن غوغائية الجماهير، فإذا وصل إلى الحق بالدليل الدامغ يتبعه ولا يغرنه كثرة الرافضين له؛ (فالقرآن الكريم يرشدنا إلى أمر مهم له أثره في تثبيت قلب المؤمن مادام مستمسكاً بحبل الله المتين، وهو أن الكثرة من أهل الباطل ليست دليلاً ولا برهاناً على أنهم طلاب حق، حتى وإن كان صوتهم عالياً، وأصحاب قوة وسلطان، وأن القلة في أصحاب الحق ليست دليلاً على أنهم طلاب باطل، فالقرآن الكريم يضع أمامنا حقيقة على جانب كبير من الأهمية في بعث الطمأنينة والسكينة لدى أهل الحق وإن كانوا قلة، وهي قوله تعالى: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ يوسف: ١٠٣، وقوله: ژ ک گ گ گ گ ژ الأعراف: ١٧، ومن هنا نعلم أن طلاب الحق في كل عصر قلة إذا قيسوا بأهل الأهواء؛ لأن طلب الحق فضلاً عن الاستمساك به يحتاج إلى مجاهدة النفس وترويضها على ذلك، فقد يكون الحق معارضاً لرغباتها ومضاداً لمصالح الإنسان الدنيوية. عند ذلك تحتاج النفوس إلى ترويض ومجاهدة لا يقدر عليها إلا أصحاب العزيمة القوية، والإرادة الصادقة، ولابد في ذلك من الاستعانة بالله كما قال تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ۇ ژ العنكبوت: ٦٩) [2] .

وإذا علمنا مدى تأثير العادات والإلف، وأصحاب السلطة، والعقل الجمعي للجماهير في الأفراد وعقولهم، فعلينا أن ندرك أن هناك قواعد لضبط الفكر حتى لا يشط ولا يشذ، ولا ينقاد وراء هذه المؤثرات الخارجية انقياداً أعمى، والمبحثان التاليان يوضحان ذلك .

---

(١) المرجع السابق، ص ٢ . ٢٤ بتصرف .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠ .

المبحـــث الثانـــي
ضبـط العقـل الفردي بقواعد التفكير السليمــة

خلق الله الإنسان وجعله في الأرض خليفة،ومنحه نعمة العقل؛ ليسخر به كل ما في هذا الكون له، وبدأ الإنسان يستخدم عقله، ويباشر وظيفته، لكن الإنسان ليس عقلاً فقط، بل فيه قوى أخرى تتحكم فيه، بالإضافة إلى عوامل خارجية لها تأثيرها عليه؛ فالعواطف، والانفعالات، والأهواء، والميول، والعادات، والتقاليد، والمصالح الشخصية؛ كل هذه العوامل تؤثر على الأحكام العقلية، فتجعلها تنحرف عن الطريق السوي، وتميل عن الصراط المستقيم؛ ومن هنا أدرك بعض المفكرين النابهين ضرورة تدوين (ضوابط الفكر) أو (علم المنطق) ليعصم ذهن من يراعيه من الخطأ في التفكير .

فالداعية إلى الله يناقش ويجادل، ويحاور، فيحتاج في أموره إلى هذا الضابط الفكري، حتى يرتب أفكاره، ويحدّد كلامه، ويوجز عباراته، حتى يتمكن من إفحام الخصوم، ورد المعاندين، ومناقشة المجادلين، لذلك نرى أن علم المنطق أو (ضوابط الفكر) يفيد الداعية في أشياء كثيرة؛ أهمها:

١ . يعصم الذهن البشري عن الخطأ في طرق اكتساب المعلومات .

٢ . يعاون الداعية على تمييز الحق من الباطل، والصحيح من الفاسد .

٣ . يمكن الداعية من عرض معلوماته بدقة تمكنه من إقناع الناس.

٤ . يعين الداعية على كشف مغالطات الخصوم، والرد على شبهاتهم .

٥ . تربي دراسة هذا العلم عند الداعية ملكة النقد والتحليل، وقدرة الملاحظة والتأمل .

ونجد حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي ~ يقول (من لا يعرف المنطق لا يوثق بعلمه) وسماه (معيار العلوم) .

فالداعية إلى الله لا يحصّ بدعوته المسلمين فقط؛بل يدعو أهل الكتاب، والمجوس، والمشركين، واللادنيين؛ فدعوتهم تقوم على إقناعهم، وهدايتهم، وأقرب طريق إلى ذلك هو إقناع عقولهم بالأدلة العقلية التي تجعلهم يفكرون في ذلك الدين، ويراجعون أنفسهم، ويجلدون ذواتهم فتنقشع ظلمة الجهل عن عقولهم؛ وأهم ما يعين الداعية في سلوك ذلك الدرب هو دراسته لذلك العلم علم (ضوابط الفكر) أو المنطق .

(لذا نجد الفاتحين الأُولَ من المسلمين لما دخلوا بلاد الشام والعراق وفارس وجدوا أنفسهم في حاجة إلى الإلمام بهذا العلم ليواجهوا أهل هذه البلاد من مجوس، ويهود، ونصارى الذين يستخدمون الفلسفة والمنطق في عرض وتأييد أفكارهم، ومعتقداتهم في الطعن في مبادئ الإسلام وعقائده، لذلك أمر الخليفة (أبو جعفر المنصور) بترجمة كتب الفلسفة والمنطق إلى اللغة العربية، فترجم (عبد الله بن المقفع) ثلاثة من كتب أرسطو المنطقية، المقولات، والعبارة، والقياس، وغير ذلك ووصل حماس الخلفاء العباسيين في الترجمة إلى أن كانوا يمنحون مترجم الكتب وزن ما ترجم مالاً تشجيعاً على الترجمة؛ولم يقتصر دور المسلمين على الترجمة،وإنما قاموا بالشرح والتحليل والتأليف والابتكار)[1] .

والناظر في سيرة العلماء الدعاة الذين هدى الله بهم أعيناً عمياً، وآذاناً صّماً، وقلوباً غلفاً من اليهود والمجوس والمشركين نجدهم اهتموا بدراسة هذا العلم حتى يردوهم إلى رشدهم؛وكان من هؤلاء العلماء المشهورين الكندي،والفارابي، والرازي، وابن سينا .

---

(١) د/ محمد ربيع الجوهري، ضوابط الفكر، ص ٢٢، ط/٢، مكتبة الإيمان بالعجوزة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

فعلم المنطق مثل القلم الذي يكتب به المفكر فكرته؛ فكما أن القلم واسطة بينه وبين الورق للكتابة عليه، فهكذا المنطق قواعد وضوابط بين الداعية وفكرته، يقوم علم المنطق بضبط هذه الفكرة وتقويمها وتقنينها .

وبعد هذا العرض الموجز لضبط العقل الفردي للداعية ولغيره؛ نبين حكم دراسة هذا العلم الضابط للفكر؛ حتى يكون الدعاة على بينة من أمرهم .

(اختلفت نظرة الباحثين في حكم دراسة هذا العلم؛ فمن العلماء من رأى تحريم دراسته كالإمام ابن الصلاح والإمام النووي؛ ولكن يظهر أنهم يقصدون المنطق المخلوط بمسائل الفلسفة المؤدية إلى الكفر المشككة في العقيدة؛ أما المنطق الذي نعرضه؛ فإنه يمكن الاستفادة به في تأييد مسائل العقيدة ودفع الشبه عنها .

لذا نأخذ برأي العلماء الذين قالوا إن دراسته فرض كفاية على المسلمين، فلابد أن يلم بمسائله فريق من الباحثين يستطيعون عن طرقه الدفاع عن الإسلام والرد على خصومه، وذلك واجب كفائي وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وينبغي أن يتوفر في هذا الفريق الذي سيدرسه التدين الكافي والذكاء اللازم لهذه المهمة) [١] .

فالدعاة خلاصة هذه الأمة والمنوط بهم الدفاع عن الإسلام، والرد على خصومه، وإبطال شبههم خاصة في هذا العصر الذي انتشرت فيه القنوات الفضائية والتي اندرج وسطها قنوات تبث الأفكار الفاسدة، والعقائد الباطلة، وتلبّس على الأمة دينها، وتحيك المؤامرات بهذا الدين؛ فلابد أن يقف الدعاة أمام ذلك الزيف الهائل، والكمّ الفاسد، ويتدرعوا بدراسة هذا العلم الذي يعينهم على المواجهة، والإفحام؛ ونهاية القول؛ إذا لم يقم الدعاة بدراسة هذا العلم للذبّ عن الدين بالعلم والعقل والإقناع؛ فمن يقوم به ؟!!

ولنضرب على ذلك أمثلة يستعين الداعية فيها بفهمه لعلم المنطق على النقاش والمحاورة، والمجادلة .

١ ـ إثبـــات خطأ من قال إن الله ثالث ثلاثـــة:

إثبات وحدانية الله أمرٌ أولاه الإسلام أهميةً كبرى؛ لأن الإيمان أساس الدين وجوهره،فإذا صلحت العقيدة صلح أمر الدنيا والآخرة؛ لذا اهتم الإسلام بالأساليب الدعوية المؤدية لذلك الغرض، ومن أكثر هذه الأساليب أثراً أسلوب الإقناع العقلي الذي يعتمد على وضع فرضيات على هيئة أسئلة فيها تحدٍ للفكر، مع تقديم إجابة وحيدة لا يستطيع المجادل ردها، وهذا الأسلوب يعتمد على تقسيم المشكلة إلى خطوات هي:

. تحديد المشكلة . . تحديد الحلول الممكنة .

. تجربة الحلول كلٍ على حدة . . اختيار الحل الصحيح .

وفيما يلي تطبيق هذه الخطوات لإثبات وحدانية الله:

قال تعالى:ژ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ المؤمنون: ٩١، وقال تعالى: ژ ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ژ الأنبياء: ٢٢، وقال تعالى: ژ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ڌ ڎ ڎ ڎ ڎ ژ الإسراء: ٤٢ .

وتطبيق خطوات الأسلوب العقلي على هذه القضية كما يلي:

أولاً: تحديد المشكلة، وهي إثبات وحدانية الله .

---

(١) د/ محمد ربيع الجوهري، ضوابط الفكر، ص ١٩.

ثانياً: تحديد الحلول الممكنة وتنحصر في اثنين لا ثالث لهما،إما أن يكون هناك إله واحد أو آلهة متعددة.

ثالثاً: تجربة الحلول كلٍ على حدة، فإذا كان هناك آلهة متعددة، لتحاربوا وتقاتلوا، وسيطر بعضهم على بعض، وفسدت السموات والأرض .

أما الإله الواحد القهار فيشهد له التناسق والتطابق والتكامل الموجود في الكون فذكرٌ وأنثى، وليل ونهار، وتكامل كوني عجيب يدل على وحدانية الله سبحانه وتعالى .

رابعاً: اختيار الحل الصحيح وهو وحدانية الله في هذه الحال .

وفي إثبات صدق رسول الله ﷺ وأنه رسولٌ من عند الله:

يمكن أن نستخدم هذه القواعد في إثبات رسالة رسول الله ﷺ،وصدقه؛ وذلك من خلال المقدمات والنتائج؛ وبالمثال يتضح المقال .

لو قابل داعيةٌ رجلاً مجادلاً أو كافراً أو يهودياً أو نصرانياً، وقال له الداعية آمن برسول الله ﷺ لأن الله يقول في القرآن: ژ ٱ ٻ ٻ ژ الفتح: ٢٩، ويقول: ژ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ژ الفتح: ٩ لرفض المدعو الدعوة من أولها، وقال: كيف أؤمن برسولك مع أنني لا أؤمن بالدليل الذي أتيتني به من كتابك الذي أرفض الإيمان به أولاً؛ وهنا يفشل الداعية في أول دعوته؛ ولكن لو قال له: لابد أن نفكر سوياً وبعيداً عن التعصب حتى نصل إلى حلٍ يرضي جميع الأطراف؛ فتعال معي أفترض معك افتراضاً أن محمداً، ادعى النبوة، وأن مسيلمة ادعى النبوة؛ فمحمد ادعى النبوة وأتى بالمعجزات التي لا ينكرها أحد، وثبتت يقيناً دون ردٍ من أحد، بينما مسيلمة ادعى النبوة ولكن أتى بأشياء لا يمكن أن نصفها معجزة؛ لأن الجميع قادرٌ على أن يأتي بمثلها، فلا يصح أن توصف بكونها معجزة؛ لأن المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة، فتكون النتيجة؛ أن الأول وهو محمد مدعي النبوة أتى بمعجزة يقينية فثبتت له النبوة؛ فهو إذن نبي بينما الآخر لم يأت بمعجزة فانتفت عنه النبوة فليس نبي .

فمن خلال هذه المقدمات والنتائج يتمكن الدعاة من رد الشبه وإثبات الحجج التي تخدم الدين .

ويظهر ذلك من خلال النتيجة التي توصل إليها سيدنا إبراهيم عليه السلام في إثبات وجود الله ووحدانيته في دعوته لأهل الكواكب، وذلك عندما رتب أفكاره ترتيباً منطقياً، فقد قال لهم ﴿ هذا ربي ﴾ فجاراهم عليه السلام ليهديهم إلى الله سبحانه وتعالى؛ فأشعرهم أولاً أنه يؤمن بالكواكب فلما أفلت قال إني سأؤمن بالشمس أكبر الكواكب، فلما أفلت ژ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ژ الأنعام: ٧٩ .

فهذا الأسلوب الشيق يستخدمه علم ضبط الفكر (علم المنطق) في موضوع القضية وأخص بالذكر القضية الشرطية المنفصلة والتي تبين في أحد معانيها أن النقيضين لا يجتمعان ولا يفترقان في شيء ما لأنهما نقيضان؛ فالإله لابد أن يكون موجوداً دائماً لا يختفي ولا يأفل ولا يزول؛ لكي نحكم عليه بالألوهية؛ بينما هذه الكواكب تأفل وتزول وتتغير؛ إذن لا تجتمع ألوهية الله مع ألوهية الكواكب فهما متناقضان، ولا يجتمعان في أمرٍ ما، فثبت أن القضية منفصلة وأن ألوهية الله هي الحق، وأن ألوهية الكواكب هي الباطلة لتغيرها وزوالها .

وبهذه الأمثلة يتضح أن العقل الذي يفكر في آلاء الله، وملكوت الله، لابد أن يضبط في تفكيره وتأمله حتى لا يشط ولا يفسد .

المبحـث الثالـث
ضبط العقل الفردي بالتفكير (مثنى وفرادى)

يقول تعالى: ژ و ۈ ۇ ې ې ې ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ی ژ سبأ: ٤٦ .

يقول ابن كثير ~ : (يقول تبارك وتعالى قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون ژ و ۈ ۇ ې ې ژ أي إنما آمركم بواحدة وهي ژ ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ژ أي تقوموا قياماً خالصاً لله ﷻ من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضاً هل بمحمد من جنون فينصح بعضكم بعضاً ﴿ ثم تتفكروا ﴾ أي ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر في هذا ولهذا قال تعالى: ژ ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ژ هذا معنى ما ذكره مجاهد ومحمد بن كعب والسّدي وقتادة وغيرهم وهذا هو المراد من الآية) [1] .

وكلام ابن كثير ~ هو تفسيرٌ بالمأثور؛ إلا أنه لم يوضح ضرورة التفكير مع الخلو من المؤثرات الخارجية؛ والتي تعتبر عمدةً في هذا الموضوع؛ لأن العقل الذي يفكر بعيداً عن مؤثرات الجماعة الخارجية، والعادات والتقاليد، يستطيع أن يصل إلى الحق والخير؛ لذا يهتم علم نفس الدعوة بوجوب أن تكون الدعوة موجهة للعقل وهو في حالة نقاء وصفاء . مثنى وفرادى . حتى يهتدي للخير .

والله سبحانه وتعالى في الآية السابقة يدعو خلقه إلى منهج البحث عن الحق، ومعرفة الافتراء من الصدق، وتقدير الواقع الذي يواجهونه من غير زيف ولا دخل، فهي دعوة للقيام لله؛ بعيداً عن الهوى، بعيداً عن المصلحة، بعيداً عن ملابسات الأرض، بعيداً عن الهواتف والدوافع التي تشتجر في القلب فتبتعد به عن الله، بعيداً عن التأثر بالتيارات السائدة في البيئة، والمؤثرات الشائعة في الجماعة، إن الآية السابقة دعوة إلى منطق الفطرة الهادئ الصافي، بعيداً عن الضجيج والخلط واللبس، والرؤية المضطربة والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة .

ومن خلال قوله تعالى: ژ ې ى ى ئا ئا ژ يتضح ضرورة ترك المؤثرات الخارجية لإقناع العقل الفردي، فقوله تعالى ژ ئا ژ ليراجع أحدهما الآخر؛ ويأخذ معه ويعطي في غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارئ، ولا تتريث لتتبع الحجة في هدوء .

وقوله تعالى: ژ ئا ژ هو دعوة لتفكر المرء مع نفسه وجهاً لوجه في تمحيص هادئ عميق .

وقوله تعالى: ژ ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ژ يدل على أنه بعد أن يتفكروا بذهن صافي، وعقل خالي عن المؤثرات سيصلوا إلى الحقيقة وهي أن النبي ﷺ هو صاحب العقل المتزن، والشخصية المتزنة، والخلق القويم، وهو أكرم خلق الله على الله سبحانه وتعالى .

فالعقل الفردي، يصل إلى الحق والخير بيسر وسهولة شريطة أن يبتعد عن المؤثرات الخارجية الفاسدة .

وقد استخدم العلماء الربانيون هذا المنهج في إقناع العقل الفردي؛ وذلك بالبعد عن المؤثرات والتلبيسات؛ فهذا الإمام جعفر الصادق يأتيه رجل من الزنادقة يجادله في وجود الله؛ فبدأ بتذكيره بما شاهده، وإقناعه بما أحسه ورآه، وأخذ يطرح الأسئلة التي تنشط العقل، وتوقظ الضمير؛ حتى هداه الله إلى الصراط المستقيم .

(ذكر أن جعفر الصادق ﷺ جادله بعض الزنادقة في وجود الله تعالى، فقال جعفر للزنديق المجادل: هل

---

(١) تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ٧٠٤، ٧٠٥، مرجع سابق .

ركبت البحر؟ قال: نعم، قال: هل رأيت أهواله؟ قال: نعم، هاجت يوماً رياح هائلة فكسرت السفن وأغرقت الملاحين، فتعلقت ببعض ألواحها، ثم ذهب اللوح فإذا أنا مدفوع بتلاطم الأمواج حتى دفعت إلى الساحل، فقال جعفر: قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح ثم على اللوح حتى ينجيك، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك؛ أسلمت نفسك للهلاك؟ أم كنت ترجو السلامة بعد؟ قال: بل رجوت السلامة، قال جعفر: ممن كنت ترجوها؟ فسكت الرجل، فقال جعفر: إن الله هو الذي كنت ترجوه في ذلك الوقت، وقد أقر به قلبك عند الشدة، وإن أنكره لسانك عند النجاة، وهو الذي أنجاك من الغرق ... فأسلم الزنديق وحسن إيمانه بالله تعالى) [١] .

فعلم نفس الدعوة يجعل اهتمام الداعي بعقل مدعوه، وصرفه عن الشواغل من أوليات نجاح الدعوة؛ لأن العقل يتأثر بالآخرين، خاصةً إذا كانت لهم قوة نفسية على المدعو، فإذا تمكن الداعي من شرح الأمور الدينية بيسرٍ وسهولةٍ، وإقناع عقلي، تمكن من الأخذ بيده إلى الله تعالى .

(١) طه العفيفي، من وصايا الرسول ﷺ، ج ٩ ص ٧٨٣، طبعة دار التراث العربي، الوصية الحادية والثلاثين .

الفصـــل الثالـــث
المؤثـــرات في العقل الجمعي وموقف الداعيـــة منها

مقدمة عن تشكيل العقل الجمعي .

المبحث الأول: العادات والتقاليد .

المبحث الثاني: التربية المتحزبة .

المبحث الثالث: الهزيمة النفسية .

المبحث الرابع: بلادة الحواس .

المبحث الخامس: الإعلام المُوَّجه .

مقدمة عن تشكيل العقل الجمعي:

(فالمجتمع ليس عبارة عن مجموعات من الناس فقط؛ بل إنه قبل ذلك المنظومة المكوَّنة من الأفكار والمعتقدات والتقاليد والعادات والرمزيات التي تشكل العقل الجمعي والثقافة العامة لذلك المجتمع؛ فالعقل الجمعي الموجود في كل مجتمع هو عبارة عن نسيج معقد من الأفكار والمشاعر، وهذا النسيج تم غزله على مدار قرون عديدة؛ وكلما كانت درجة جهل الأفراد أكبر كانت سيطرة المجتمع بعقله وثقافته عليهم أشد وأكبر، ولهذا فإن المجتمعات الأمية وشبه الأمية تعيش دائماً في حالة من الجمود والارتباك ويلفها الغموض من كل جهة) [١] .

ومما يقوي سطوة العقل الجمعي الأمثال الشعبية التي تعتبر بمثابة قوانين ثابتة عند كثير من العوام لاعتقادهم بصحتها وعدم خلوها من الأخطاء، فيسيرون وراءها، ويتأثرون بها، ويبنون بعض تصوراتهم عليها .

ولنأخذ مثالاً على ذلك، في كثير من الأمثلة الشعبية دعوة إلى الدعة وعدم الاهتمام بالآخرين، والاهتمام بالنفس فقط، لدرجة أن بعض الأمثلة يقول (إن أتاك الطوفان ضع ابنك تحت قدميك) وغيرها الكثير .

بينما الإسلام يدعو إلى الثقة بالله والتوكل عليه، ومواجهة الأخطاء، وحب الخير للغير وإيثاره، والشعور القلبي بأفراح المسلمين وأحزانهم، مما يحتم علينا تنقية هذه الأمثلة وضبطها بالإسلام، حتى نقوم أحد عناصر العقل الجمعي تقويماً سليماً .

والمستعرض للقرآن الكريم في حديثه عن الناس يجد أن التيار العريض في المجتمع لا يكون هو التيار الراشد فأكثر الناس لا يؤمنون، ولا يعلمون، ولا يعقلون وأكثرهم للحق كارهون .

وهذه الحالة موجودة في كل المجتمعات باعتبارات مختلفة؛ ففي المجتمعات العربية مثلاً،؛ لا يكون أهل الاستقامة والطاعة الملتزمون روح الشرع، والواقفون عند حدوده هو التيار العريض في الأمة بل هم القلة الراشدة، والفئة الصادقة يطابقون ما قاله رسول الله ﷺ فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما: ﴿ إنما الناس كالإبل المئة لا تكاد تجد فيها راحلة ﴾ [٢] .

فالداعية الواعي المستنير هو الذي يفهم هذه التركيبة للمجتمع الذي يعيش فيه ويحاول في كلماته وعباراته وعظاته أن يغيّر الوعي للجمهور الذي يخاطبه بالحسنى واللين؛ ولا يصادمهم بادئ ذي بدء بل يقيم جسور المودة والمحبة بينه وبينهم أولاً ثم يغير باللطف واللين؛ لأن هذه العادات والتقاليد ترسخت في ذلك المجتمع وانتقلت إلى أفراده عن طريق التربية؛ فالعادات والتقاليد تنتقل إلى الأفراد مثل ما تجرى عملية نقل خبرات الحياة، والقيم، والسلوكيات المختلفة .

وفيما يلي بيان أهم المؤثرات في العقل الجمعي والتي تساهم في تشكيله وتغييره، والتي يتسنى للداعية معرفتها، حتى يتمكن من كيفية التعامل معها .

---

(١) شبكة المعلومات الدولية، موقع زيدل، سوريا، حمص، مسافة للوعي، مفهوم العقل الجمعي، تاريخ الزيارة: ١٠/ ١/ ٢٠١٠م

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: رفع الأمانة، حديث: ٦٤٩٨ .

المبحـــث الأول
العـــادات والتقاليـــــد

قبل أن ندخل في أثر العادات والتقاليد والأعراف في العقل الجمعي لابد أن نعرف بهم أولاً .

العادات والتقاليد والأعراف كلمات متشابهة في المعنى وتدل على (ما سار عليه الناس واعتادوه في معاملتهم من قولٍ أو فعل) [١] وهذا يعني أن العادات والتقاليد استقرت في النفوس من جهة العقول، وتلقته الطباع بالقبول، وتكون مقبولة طالما لم تخالف نصاً شرعياً .

فألفاظ العادة والعرف والتقليد تتشابه في الإلف والتكرار للأمر، فالعادة هي الأمر المتكرر من غير علاقة عقلية، مأخوذة من العود أو المعاودة بمعنى التكرار، فمن أتى بفعل وتكرر منه حتى صعب عليه تركه سمي ذلك عادة، وبعض العلماء يعزو تكون العادات الشعبية إلى التكرار المتعاقب للأفعال، والعادات بطول الزمن تصبح إلفاً وعرفاً في كل المجتمعات، وكلمة التقليد تفيد ذلك المعنى فهو يعني العادات المتوارثة التي يقلد فيها الخلف السلف، والعادات والتقاليد والأعراف إن لم تخالف النصوص الشرعية فجائزة، ولا مانع منها شرعاً .

ولقد وضع الأستاذ الدكتور/ محمود الصاوي هذا الأمر جلياً فقال: (العادة لكي تتحول إلى عرفٍ لابد لها من شروط الإلزام: أي اطراد سلوك الناس عليها حتى يستقر في الأذهان أنها واجبة السلوك وأن الخروج عليها خطأ مبين ... ومن أجل هذا وجدنا الإمام السيوطي أفرد فصلاً في كتابه الأشباه والنظائر لتعارض العرف مع الشرع ثم قال: " إنما تعتبر العادة إذا اطردت فإن اضطربت فلا " [٢] ثم يقول في موضع آخر: " التقليد المنهي عنه والذي اجتنبه السلف على ثلاثة أنواع، الإعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه اكتفاءً بتقليد الآباء، تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ عنه، التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد، وأما تقليد العامة لأهل العلم فجائز، يقول ابن عبد البر: (العامة لابد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها، لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تصل بعدم الفهم إلى علم ذلك، ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها وأنهم المرادون بقوله: ﴿ فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ وأجمعوا على أن الأعمى لابد له من تقليد غيره ممن يثق بميزة بالقبلة إذا أشكلت عليه فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به لابد له من تقليد عالمه) [٣] .

مما سبق يتبين أن العادة والتقليد والعرف تمثل ضغطاً اجتماعياً على الناس، فإذا وافقت الشرع فلا مانع منها، وإذا خالفته تمنع .

وأما عن أثر العادات والتقاليد في العقل الجمعي فيقول عنه علماء الاجتماع: (إن من أخطر العوامل المؤثرة سلباً على طريقة التفكير والتحليل بناء المعارف التي ينشأ عليها الإنسان على تأثير العادات والأعراف في البيئة التي نشأ فيها، فهو يعتقد صحة المسألة لكثرة تكرارها وتداولها في بيته التي نشأ فيها، فهي معارف مبنية على "التقليد والمحاكاة" وليس على التفكير والتدبر .

إن الشعور بالسلامة المطلقة للبيئة التي يعيش فيها الإنسان، واعتقاده بكمالها وخلوها من الأمراض يقوده إلى

---

(١) الإمام علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريف، ص ٩٠، ١٩٣، دار الكتاب العربي، ط/١، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

(٢) النظام التشريعي في الإسلام،د/ محمود الصاوي،ص ٢٥،كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة،ط/٢، سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

(٣) المرجع السابق، ص ٢٧ .

التبعية،وحبس العقل عن التدبر والتأمل،وسوف يؤدي إلى الضمور والتآكل) [١] .

وخطورة هذا الأمر . العقل الجمعي المتأثر بالعادة والبيئة . في نفسية المدعو تتجلى في أن المدعو تتأثر نفسيته بالإلف والعادة، ويختلط الأمر في نفسه اختلاط الدم في العروق، فتركن نفسه إلى الاطمئنان إلى الفعل، حتى وإن كان خطأً، وترفض غيره وإن كان صواباً؛ لذا نجد القرآن ينتقد المشركين واليهود في هذا الركون الخاطئ إلى إرث الآباء والأجداد ويدعوهم إلى التفكر والتدبر في الأمر،حتى ينصاعوا للحق ويؤمنون بسيد البشر ﷺ.

يقول تعالى: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ژ البقرة: ١٧٠ .

وقال تعالى: ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ژ المائدة: ١٠٤ .

ويقول تعالى: ژ ئۇ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ژ الزخرف: ٢٢ – ٢٣ .

فهؤلاء (ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد) [٢] .

ويقول تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ البقرة: ١٧١.

يقول ابن كثير ~ : (أي فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها بل إذا نعق بها راعياً أي دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول ولا تفهمه بل إنما تسمع صوته فقط، هكذا روي عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعطاء الخراساني والربيع بن أنس نحو هذا) [٣] .

ولكن كيف تنتقل العادات والتقاليد إلى الفرد أو بعبارة كيف يؤثر العقل الجمعي في العقل الفردي ويجعله يسير وراءه؟

يقول علماء النفس (يولد الطفل مزوداً بجملة من الدوافع "أو ما يسمى بالغرائز" التي تهيئ للإنسان سبل الحياة، وعادةً ما تكون هذه الدوافع حرة غير مقيدة بأي رادع أخلاقي أو عرفي لدى الأطفال، ثم يبدأ الأبوان أولاً والمحيط الاجتماعي ثانياً والذي يزداد اتساعاً بنمو الطفل بتقنين هذه الدوافع وضبطها، وتأسيس الروادع الأخلاقية التي تتكفل بتسجيل المسموح منها وغير المسموح، ومن هنا يبدأ الكيان النفسي للطفل بالنمو، وتأخذ شخصيته في الظهور،وهو ما يسمى بأثر اللاشعور الجمعي في صياغة اللاشعور الفردي)[٤]. وهذا التفسير النفسي سبق به المصطفى ﷺ في قوله: ﴿ كل مولد يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها من جدعاء ﴾ [٥] .

فالله سبحانه وتعالى فطر الخلق على الحنيفية السمحاء، فلو ترك الابن وشأنه دون تدخل شياطين الإنس، ورفقاء السوء؛ اهتدى إلى الخير .

ولكن من أهل المؤثرات في الطفل دور الأبوين (فللأبوين دورٌ غير منكور في تشكيل عقائد أبنائها، فالولد ينشأ على دين أبويه تقليداً وتلقيناً، ويحرص الأبوان على أن يكون دين أبنائهما كدينهما، وهما اللذان يغرسان الحرص

---

(١) شبكة المعلومات الدولية، شبكة أنا المسلم للحوار الإسلامي، بطالة العقول، محمد المصري، تاريخ الزيارة: ١٠/ ١/ ٢٠١٠م .

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٤ ص ١١٦ .

(٣) المرجع السابق، ج ١ ص ٢٥٢ .

(٤) شبكة المعلومات الدولية، موقع زيدل، سوريا، حمص، مسافة للوعي، مفهوم العقل الجمعي، تاريخ الزيارة: ١٠/ ١/ ٢٠١٠م

(٥) صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، حديث ر قم: ١٣٨٤، رواه أبو هريرة ﷺ .

في الولد على التمسك بدينهما، والتعصب له، وهذه حقيقة تناولها القرآن بالحديث فقال: ژ ئى ئد ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ ژ الزخرف: ٢٢، وأكدتها السنة النبوية المطهرة بالحديث الذين بين أيدينا) [١] .

فأغلب المشركين واليهود والنصارى يسيرون وراء عقل جمعي فاسد يمنع من التفكير في الصواب، ولا يجعلهم يسيرون وراء الحق، لذا عاب الله موقفهم، وبين جهلهم وفساد عقولهم .

وأما بالنسبة لعادات المسلمين وتقاليدهم فإن الأمر يختلف في كون هذه العادات والتقاليد تتفق مع الإسلام أو تختلف معه، وهو ما سيتضح فيما يلي إن شاء الله؛ الأمر الذي يجعل الداعية يفهم كيف يتعامل مع هذه الموروثات من العادات والتقاليد التي ترسخت في نفسية المدعو ترسخاً شديداً .

موقف الداعية من العقل الجمعي المؤثر في نفسية المدعوين تجاه العادات والتقاليد:

العادات والتقاليد تتغلغل في نفسية المدعو، ويزكي هذه العادات والتقاليد العقل الجمعي الذي يؤثر في الجماعة، وتنساق وراءه، وهذا يتطلب من الداعية أن يكون حصيفاً في دعوته؛فينظر إلى هذه العادات والتقاليد نظرةً متأنيةً فإن كانت موافقة للشرع زكاها، وزكى العقل الجمعي والفكر السائد الذي يؤيدها؛ وإن كانت مخالفةً غيرّها بالحسنى؛ ويجب على الداعية أن يعلم أن معظم عادات المسلمين وتقاليدهم لها أصل شرعي ترجع إليه إلا أنه قد لا يعرفه، والعادات والتقاليد إن اندرجت تحت أصل شرعي عام لا تدخل في دائرة البدعة والضلالة؛ بل تدخل في دائرة الاجتهاد الذي يُعطَي صاحبه أجران إن وافق الصواب، وأجرٌ واحدٌ إن كان الاجتهاد مرجوحاً، فلا داعي ساعتها أن نُحرّم أشياء في أصلها مباحة ولم يرد نص صحيح صريح بتحريمها، ولا داعي في أن نصادم مشاعر الناس ونكون بمثابة حجر عثرة في طريق أمرٍ لم يحرمه الله ورسوله .

خاصةً وأن أهل العلم أجازوا العادة إذا كانت موافقة للشرع، فلقد أفرد الإمام السيوطي فصلاً في كتابه (الأشباه والنظائر) قال فيه: (إنما تعتبر العادة إذا أطردت فإن اضطربت فلا) [٢] .

وبالمثال يتضح المقال؛ في مصر يقوم المصريون بتجهيز المواسم والأطعمة في المناسبات الدينية المختلفة؛ وهذا الأمر جائز ولا حرمة فيه؛ لأنه تعبير عن شكر الله في كل مناسبة تدلل على فضل الله؛ وشكر الله باللسان والجنان، والطعام الذي يفعله المرء شكراً لله ژ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ژ إبراهيم: ٧ .

فالعامة من الناس يفعلون ذلك عن طريق العادة والتقليد مع أنه له أصل في الشرع وهو شكر الله عند كل نعمة، والمناسبات الدينية إنما هي نعم عظيمة على هذه الأمة لتحديد هويتها واستقلالها وبيان الفضل عليها .

وفي حالات الوفاة في أماكن كثيرة، عندما يأتي الناس ليواسوا أهل الميت ويشاركونهم في تطييب قلوبهم؛ تجد أهل الميت وجيرانه يتعاونون في إخراج الطعام لهؤلاء الناس؛ ويتواصون بذلك؛ حتى يخرج كل بيت طعاماً لهؤلاء الضيوف المواسين في هذه اللحظات الصعبة في حياة أهل الميت .

ويفعلون ذلك بفعل العادة والتقليد، ويسيرون وراء العقل الجمعي الداعي إلى ذلك، وهذا الفعل له أصل في الشرع لأن جعفر ﷺ عندما مات، وصىّ النبي بأن يصنع لأهله طعاماً لأنهم شغلوا بالحزن على صاحبهم، فلم يجهزوا

---

(١) د/ محمد محمود متولي، دور الأبوين في تربية الأبناء، ص ١١٠، ١١٦، بحث بحولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، العدد الثاني والعشرون، ١٤٢٨هـ- ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م- ٢٠٠٩م .

(٢) الأشباه والنظائر، للسيوطي، ص ٨١ .

طعاماً ولا شراباً فأوجب على المحيطين بهم أن لا ينسوهم، وقال مقالته العظيمة ﷺ ﴿ اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد أتاهم أمر يشغلهم أو أتاهم ما يشغلهم ﴾ [١] .

وفي مصر كذلك يخرج الزائرون للمقابر ومعهم بعض الأطعمة لتوزيعها على الناس وعلى الأطفال، ويقولون إنها تنزل الرحمة على أهلهم المتوفين .

وهذه العادة والتقليد له أصل في الشرع وهو جواز التصدق على الميت بأي نوعٍ من أنواع الصدقة سواء كان طعاماً أو شراباً أو بناءً أو كفالةً أو غير ذلك، والصدقة تجوز في أي مكانٍ كان،في ملجأٍ للأيتام، في دار الفقراء، وفي المقابر، ..... في أي أماكن، والمعلوم شرعاً أن الصدقة تنزل الرحمة والمغفرة على الميت وتدخل السلامة والنور عليه من عند الله بسبب هذه الصدقة، التي وصىّ النبي ﷺ بها على الميت .

فالناس يفعلون ذلك بفعل العادة والتقليد ولكنهم لا يعرفون أن ذلك الفعل له أصل شرعي وهو استحباب التصدق على الميت،فهذا الفعل لا يدخل في دائرة البدعة ولكن يدخل في دائرة الفعل المُجآز.

وإن المرء ليعجب من بعض الدعاة الذين يحرمون أشياء كثيرة في حياة الناس بحجة أنها بدعة، وهم لا يعلمون . لقلة علمهم وبحثهم في الشريعة . أن هذه الأمور لا تدخل في دائرة البدعة؛ لأن البدعة كل أمر مستحدث في الشرع ليس له أصل، وهذه الأمور وغيرها لها أصل فلا يجوز تحريمها لأن التحريم يكون بدليل صحيح صريح، والأمر إذا كان في دائرة الاجتهاد فإن الإنكار عليه غير جائز كما قال الإمام النووي ~ (إنما ينكر فيما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه لأن على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب وهذا هو المختار عند كثير من المحققين أو أكثرهم وعلى المذهب الآخر المصيب واحدٌ والمخطئ غير متعين لنا والإثم مرفوع عنه) [٢] .

فالعقل الجمعي المؤثر في نفسية المدعوين تجاه هذه العادات والتقاليد المندرجة تحت أصل شرعي هو عقل جمعي إيجابي، لأنه يحافظ على الألفة والترحم والمحبة والمودة، فلا داعي لزعزعته في نفسية المدعو، حتى لا نؤثر سلباً عليه .

أما العادات والتقاليد المخالفة للشرع ولا تندرج تحت أصل شرعي معتبر، فهو ما يطالب الداعية بتغيير العقل الجمعي تجاهها؛ حتى تزول وتأفل من المجتمع؛ وخير دليل على ذلك أن الإسلام حراب العادات والتقاليد التي لا تتفق مع روحه وشرعته .

وعلى سبيل المثال:(كان من عادة بعض العرب أنهم إذا أحرموا في الجاهلية بالحج أو بالعمرة لا يدخلون بيوتهم من أبوابها ويعتبرون ذلك إثماً ومعصية، وإنما يدخلون البيوت من ظهورها لاعتقادهم أن دخول البيوت من ظهورها طاعة، فبين الله لهم أن البرّ ليس في دخول الدار من ظهرها وإنما البر في تقوى الله ژ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۄ ۄ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ژ البقرة: ١٨٩) [٣] .

وفي مجال الأخلاق، نجد أن العرب كانوا يفهمون بالعقل الجمعي السائد أن القوة والصرعة هو أن يصرع الرجل الآخرين ويقهرهم ويغلبهم، فغيرّ النبي ﷺ من ذلك المفهوم السائد، وبين أن الصرعة هي ملك النفس عند الغضب، والصبر والتحمل، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ ليس الشديد بالصُّرَعَة إنما الشديد الذي يملك

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ . ٢٤١هـ) مسند عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ج ٣، حديث رقم (١٧٥١)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل رشد، مؤسسة الرسالة، ط/٢، سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م . إسناده حسن.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢ ص ٢٣، دار الريان للتراث، بدون .

(٣) تفسير ابن كثير،ج ١ ص ٣١٠ بتصرف يسير،دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط/١، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

نفسه عند الغضب ﴾ [١] .

وكانوا يعتبرون أن المفلس هو من أثقلته الديون، ومَنْ لا يملك درهماً ولا متَاعاً، فقال لهم النبي ﷺ ﴿ إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هاذ، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ﴾ [٢] .

ومن صور أثر العقل الجمعي الخاطئ في العصر الحديث ما يأتي:

١ ـ قضيــة الثــأر:

في أماكن كثيرة من مصر تنتشر عادة الثأر، والثأر قد يمتد إلى غير القاتلين أو المذنبين؛ فقد يُقْتَل الأخ أو العم أو ابن الأخ ... بغير سبب وبغير جريمة مع أن الله تعالى يقول ژ ى ى ې ې □ □ ژ سورة النجم، الآية: ٣٨، ويقول: ژ ۉ ې ې ۉ ۉ ى ى ئا ئا ى ژ الأنعام: ١٥١، فقد يؤخذ الشخص بغير جريمة ارتكبها، وعلى الجانب الآخر تجد الشخص المُطَالّب بالثأر يتعرض لموجة من الضغط والقهر من الآخرين؛ لا يستطيع الفرار ولا الهناءة من غير أن يأخذ بثأره؛ والسبب الحقيقي وراء ذلك هو العقل الجمعي الذي يسود هذه المجتمعات، ويجعل أفرادها يجرون وراء الثأر خوفاً من الفضيحة والعار؛ مع أن الأمر قد لا يتفق مع الشرع في كثير من جوانبه إلا أنها قوة العقل الجمعي التي تؤثر في العقل الفردي، وتأخر توقيع عقوبة القصاص على القاتل عند القصاص .

٢ ـ منـع البنــات من المــيراث:

في بعض الأماكن المختلفة في مصر تمنع بعض العائلات بناتها من الميراث؛ بحجة أن البنت عندما تأخذ حقها إنما تُقلِّل من ثروة العائلة، وتجعلها تنتقل إلى عائلة أخرى، فيكون هذا الأمر من وجهة نظرهم ضعفاً وفقراً وذلاً؛ ويُسّول لهم الشيطان أعمالهم فيضربوا بقول الله تعالى: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ئج □ □ □ □ □ □ ژ النساء: ١١ عرض الحائط .

وهذه الرذيلة المستقبحة؛ والمعصية المستهجنة، والكبيرة المستقبحة يدفع إليها العقل الجمعي لهذه المجتمعات الذي يجعلها تتواصى بهذا الشر، ويتخذها أعداء الإسلام تكاة للهجوم على الإسلام، والإسلام منها براء .

والمتأمل في هذا الأمر؛ يجد أن الفرد قد عطّل عقله وفكره، وانقاد إلى فكر المجموع الفاسد؛ وصار يفكر بفكر (القطيع) مع أن الله سبحانه وتعالى يقول:ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ البقرة: ١٧٠ .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب، ج ٤ ص ٦٨ .

(٢) صحيح مسلم، للإمام/ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (٢٠٦ ـ ٢١٦هـ)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، ج ٤ ص ١٩٩٧، حديث رقم (٢٥٨١)، إحياء التراث العربي، بيروت، ط/ ٢، سنة ١٩٧٢م .

٣ ـ تحويل الرياضة إلى تعصب أعمى:

لقد أباح الإسلام الرياضة المشروعة، ممارسةً ومشاهدةً؛ فالممارسة من خلال السنة العملية الثابتة عن رسول الله ﷺ؛الذي كان يجري يسابق السيدة عائشة <، فعن عائشة<قالت: ﴿ سابقني النبي فسبقته فلبثنا حتى إذا رهقني اللحم سابقني فسبقني فقال: هذه بتيك ﴾ (١) .

وأما المشاهدة فمن خلال تمكينه للسيدة عائشة من مشاهدة السودان الذين يلعبون في مسجد رسول الله ﷺ، ولقد بينت < فقالت: ﴿ وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فإما سألت البني وإما قال لي: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه، خدي على خده، وهو يقول دونكم يا بني أرفده حتى إذا مللت قال: حسبك، قلت: نعم، قال: فاذهبي ﴾ (٢) .

والرياضة بهذا المعنى تحقق السعادة والفرحة والمتعة المقبولة للفرد والمجتمع، وهذا ما يجب أن يسود العقل الجمعي للمجتمعات؛ حتى يؤثر إيجاباً في الشعوب .

لكن في الآونة الأخيرة تغّير العقل الجمعي لكثير من المجتمعات، وحول الرياضة من مجرد المتعة واللهو المباح إلى التعصب الأعمى، والتمرد الممقوت، فتحول بعض الناس من مجرد التشجيع الخيّر إلى التعصب الأعمى الذي يصاحبه السّب والقذف واللعن بل والقتل أحياناً؛ وأخذ الإعلام الفاسد يؤجج هذه الفتن لانصراف الأمة عن قضاياها الجادة والمصيرية، فانساق الكثير من الناس وراء ذلك، ولم يبالوا بتضييع وقت الواجبات، بل وقد لا يبالوا بفعل المحرمات، وهذه خيبة كبيرة لأمة تعرف ما معنى الجدّ وما معنى الهزل ولا تضع أحدهما موضع الآخر، وأكبر مثالٍ على ذلك ما حدث في مباراة كرة القدم بين منتخبي مصر والجزائر عام ٢٠٠٩م والتي أدت إلى كثير من المشاحنات والمشاجرات، بل وأدت إلى بوادر كره بين المجتمعين المصري والجزائري من أجل مباراة كرة قدم؛ وانساق الناس بفعل العقل الجمعي (فكر القطيع) إلى ذلك المنزلق الخطير، ولكن سرعان ما تدارك المخلصون في الشعبين الأمر .

ولو فكرّ المرء قليلاً بعيداً عن هذا العقل الجمعي لوجد أن الأمر لا يستحق ذلك؛ وأن الكرة يفترض أن تُقرّب بين الشعوب لا أن تباعد بينها، وصدق الله عندما قال: ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۄ ۄ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ سبأ: ٤٦ .

مما سبق يجب أن يعلم الدعاة أن العقل الجمعي إذا كان يؤثر إيجاباً في نفسية المدعو، ويدعو إلى الصواب نبقي عليه ونذكيه له، وإذا كان يؤثر سلباً في حياة الناس، ويفسد الحياة الاجتماعية فيجب على الدعاة أن يقاوموه بالحسنى واللين والتوجيه الرشيد؛ لأن النفس تتأثر بالفكر السائد والعادات الموروثة تأثراً كبيراً، وتتجه نحو العمل بما يمليه عليها العقل الجمعي، فتحتاج إلى حكمة وتؤدة ومجادلة بالتي هي أحسن حتى تقلع عما ثبت فيها وارتسخ في أرجائها .

---

(١) المسند، مسند السيدة عائشة < حديث رقم: ٢٤١١٨، صحيح على شرط الشيخين كما قال المحققون له .

(٢) صحيح البخاري،كتاب:العيدين،باب: الحراب والدرق يوم العيد، ج ١، حديث رقم: ٩٠٧، ص ٣٢٣، ٣٢٤.

المبحــث الثانـــي
التربيـــة المتحــزبـــــة

في الغالب تسود التربية الحزبية العقل الجمعي الذي يجعل المنتمين لذلك الحزب أو الجماعة يفكرون في الغالب تفكيراً واحداً، ويدافعون عن أفكارهم دفاعاً مستميتاً، حتى تكاد تجد وسائل الدفاع واحدة؛ فتموت العقول الحية، والقلوب المبصرة القادرة على بناء المواقف وصناعة الأحداث .

والسّر في غلبة العقل الجمعي على أنفس المنتمين لهذا الحزب أو الجماعة هو سيطرة إطار الانتماء على نفوسهم، فيجعلون الولاء لهذا الحزب أو الجماعة، هو الضابط والموجه لأقوالهم وأفعالهم ويقبلون كل ما يدعّم ذلك الأمر، ويرفضون مَنْ ينتقدهم أو يعارضهم؛ لشدة تغلغل الأمر في نفوسهم.

والمنوط بالدعاة أن يتحللوا من الانتماء للجماعات الإسلامية المختلفة، حتى لا ينخرطوا في فكر القطيع . و العقل الجمعي . وينظروا للأمور من علٍ، وساعتها ينظرون إلى النقد على أنه نقد بناء وليس نقد هدام، ويغيرون من أنفسهم إلى الأفضل .

إن من البلاء الشديد الذي تتعرض له الأمة الإسلامية كثرة التحزبات والانتماءات إلى هذا وذاك، والسير وراء العقل الجمعي لهذه الانتماءات؛ مما يؤدي إلى الفرقة والخلاف، مع أن الإسلام ليس فيه تحزب ممقوت ولا تفرق مذموم، فالدين الإسلامي يعمّ الناس جميعاً برحمته وسعته ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀﮊ آل عمران: ١٩، فهو كالبحر يجمع الجميع في أحشائه، ويضم الجميع بين جنباته، وأما هذا التفرق المذموم فلم نسمع به بين أصحاب رسول الله ﷺ وإنما هي أشياء مختلقة مبتدعة دعا إليها الهوى، وزكاها الانتماء الممقوت .

وترجع خطورة الأمر إلى أن نفسية هؤلاء المتحزبين تنتمي للحزب أو الجماعة وتدافع عن انتمائها أكثر من دفاعها عن أي شيء آخر، وتحب من على شاكلتهم، وتحارب المخالفين لهم .

وهنا تصبح نفسية أصحابها مثل الحجار، والصخور المتجمدة، يصعب تغييرها، وتقويمها.

إن العقل الجمعي الناتج عن التربية المتحزبة له دور خطير في تشكيل نفسية الأتباع؛ فالمنوط بالدعاة أن يدعو المسلمين عموماً إلى عدم التحزب الفاسد، وقبول الخير من أي أحدٍ، ورحم الله الشاطبي عندما قال: (فإن الله حكم بحكمته أن تكون فروع الملة قابلة للأنظار ومجالاً للظنون، وقد ثبت عند النظار أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف فيها لكن في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكليات، فلذلك لا يضر الاختلاف).

المبحـث الثالــث
الهـزيمــة النفسيـــــــة

تعرض العالم الإسلامي لكثير من النكبات أثرت على المسلمين؛ فأفرزت هذه النكبات هزائم نفسية عند بعض المسلمين جعلتهم ينغلقون على أنفسهم، ويؤثرون السلامة عن التفكير والإبداع؛ لأن العقل الجمعي ساعتها يقنع نفوسهم بأن السلامة في البعد عن المبادرة حتى لا يكون لها أثر على حياتهم؛ لذا نجد كثيراً من المدعوين يعيشون ويموتون ولا أثر لهم، ولا نتاج طيب لحياتهم؛ لأنهم يسيرون وراء ذلك الفكر السائد الداعي إلى البعد عن أي شيء يقلق مضاجعهم حتى لو كان فيه خير للأمة الإسلامية .

وعند الرجوع إلى سيد الدعاة ﷺ نراه ربّى أصحابه على علو الهمة، وعلى الشجاعة والمروءة وعلى البناء؛ حتى تتربى نفوسهم على الحق، لذا نجده في دعائه يقول ﴿ اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل، والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال ﴾ [1] .

وهذه التربية الصالحة من سيدنا رسول الله ﷺ تجعل أهلها يفكرون بعقل فردي ناضج وليس بعقل جمعي يخيفهم ويؤثر في نفوسهم .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من غلبة الرجال، ج ٤ ص ١٠٧ .

المبحث الرابع
بــلادة الحـــــواس

(لأن بوابات الفكر ومنافذ العقل هي الحواس، من سمعٍ، وبصر، وذوق، وحسّ، وشّم، فإذا عودّ الإنسان حواسه على دقة الملاحظة وسرعة الاستجابة نشطت للعمل وكانت نِعْمَ العون للتفكير، وإذا عودها على الخمول والكسل تعطلت عن أداء وظائفها وأصبح حال صاحبها كما قال الله تعالى ژ ٱ ب ب ﭒ ﭒ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ژ الأعراف:١٧٩) [١] .

والعقل الجمعي إنما ينشط مع بلادة الحواس؛ لأن الناس يسيرون وراءه معطلةً حواسهم، مغلقةً عقولهم .

فيصدقون ما يقال لهم نتيجة الإيحاء الباطن الذي يؤثر على عقولهم .

(ومثال ذلك ما يحدث في مصر في أحيان كثيرة حيث نرى كثيراً من المسيحيين يعلنون أن السيدة العذراء تتجلى لهم في السماء، ويصرخون فرحاً برؤيتها ويعلنون ذلك، فالبعض منهم ربما لا يرى شيئاً ولكنه عن طريق الإيحاء الباطني يُخّيل إليه أنه يرى هذه الصورة المتجلية في السماء، والسبب في ذلك هو أن الناس يتبعون آذانهم وليس عقولهم، فيشعرون برؤية العذراء،ولقد قام بعض الذين تخلوا عن العقل الجمعي وساروا وراء العقل الفردي الناضج بالخروج معهم لرؤية العذراء فلم يروا شيئاً، لأنهم ابتعدوا عن النفسية المتأثرة بالعقل الجمعي) [٢] .

---

(١) شبكة المعلومات الدولية، نادي الفكر العربي، بحث بعنوان: العقل الجمعي صورة صدام على سطح القمر، تاريخ الزيارة: ١٥/ ١٢/ ٢٠٠٩م .

(٢) المرجع السابق، بتصرف، تعليق: ناعسة محمود، تاريخ الزيارة: ١٠/ ١/ ٢٠١٠م .

المبحث الخامس
الإعـــلام المـوجـــــه

إن الإعلام له دور عظيم في توضيح الحقائق، وتجلية المخاطر، وبيان المفاسد، وتزكية الفضائل؛ وإذا قام الإعلام بهذه المهام النبيلة كان إعلاماً بناءً، يقف مع المنبر والقلم في بوتقةٍ واحدةٍ هي بوتقة الإيمان، ويستطيع من خلا لها أن يشكل عقلية جماعية سليمة محمودة؛ تتواصى بالخير وتدعو إليه؛ ولكن إذا كان الإعلام موجهاً لخدمة أغراضٍ معينةٍ، أو أفكارٍ محددةٍ، أو نظمٍ معينةٍ؛ فإنه يشكل عقلية الجماهير بما يخدم أهداف هذه النظم، ويصبح العقل الجمعي المؤثر في هؤلاء الجماهير هو عقل النظام الموجّه، فإن كان خيراً كان خيراً وإن كان شراً كان شراً .

لذلك لا نعجب عندما نرى التزاوج بين الإعلام والسياسة؛ لأن الإعلام يعبر عن منهج هذه السياسة؛ وتستطيع السياسة أن تستخدمه في ترويض عقلية الجماهير لما تريد؛ فيقوم الإعلاميون برسم المجتمع على شكل مربعات ينقلون عقلهم الجمعي من مربع إلى مربع كما يشاءون لخدمة أهداف النظام الذي يعملون تحته، فعقل الجماهير يتأثر تأثراً كبيراً بالإعلام الموجه، وهنا تكمن أهمية الدعاة في وجوب إبراز آداب مهنة الإعلام، وشروطه، وواجباته حتى لا يدخل في دائرة ژ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ژ النور: ١٩، وعلى الجانب الآخر يبرزوا للجماهير وجوب التأني فيما يدخل في نفوسهم من مواد إعلامية؛ حتى لا يسيروا وراء العقل الجمعي الفاسد المخدوع ببريق الإعلام .

(فالمرء الناظر للواقع الإسلامي يكاد يقطع بأن من أسباب الرئيسية للتخلف الفكري والمنهجي الذي تمر به الأمة الإسلامية؛ هو أننا جعلنا التفكير ورسم الخطط مهمة آحاد من الناس، أما البقية فهم متفرجون، لا يتجاوز دورهم تكثير السواد، ولعل من أبرز مقومات النهوض بالأمة وإنجاح العمل الإسلامي أن تستحث الطاقات الكامنة الخاملة إلى التفكير، وفق الأسس والموازين الشرعية؛ فلأن تفكر الأمة بمائة عقل خير لها وأنفع من أن تفكر بعقل واحد) [١] .

وهذا دور عظيم على الدعاة القيام به حتى يرضوا الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

---

(١) شبكة المعلومات الدولية، شبكة: أنا المسلم للحوار الإسلامي، بعنوان: بطالة العقول، محمد المصري، تاريخ الزيارة: ١٠/ ١/ ٢٠١٠م .

وفي الختـام
متى يكون العقل الجمعي محموداً ومتى يكون مذموماً؟

يكون العقل الجمعي السائد محموداً إذا كان يحافظ على كيان الدولة الإسلامية، محافظاً على القيم والمبادئ الفاضلة، محافظاً على هوية الأمة، دافعاً للعمل البناء والمثمر، محتضناً للعلاقات الاجتماعية الطيبة؛ فساعتها يكون العقل الجمعي المؤثر في نفسية المدعوين بمثابة داعي عظيم الأثر، محبوب الكلمة، يحثهم على الطاعة، ويحذرهم من المعصية؛ وتكون الأفكار المتبادلة بين المدعوين الناتجة عن العقل الجمعي بمثابة تواصي بالحق بين المسلمين ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ العصر: ١ – ٣ .

أما إذا كان العقل الجمعي فاسداً يحث على الرذيلة، ويوصي بالفساد والظلم، فهذا ما يجب تغييره ومقاومته؛ لأن الناس يتأثرون بالكلمات والأفعال،؛ مما يدعونا لأن نفكر في الأفكار السائدة في المجتمع، وننظر إليها نظرة المدقق الحصيف، المتبعد عن المؤثرات الخارجية؛ حتى يمكن الحكم عليها بهدوءٍ وسلام .

ومما يجب معرفته أن المجتمع تتغير أحواله نتيجة الظروف الخارجية والداخلية، وتؤثر فيه الثقافات الواردة والانفتاح الإعلامي، والعولمة الثقافية، مما يدعو إلى الانتباه إلى هذه الأمور وغيرها، ولكن يبقى الضابط الذي لا يتغير وهو إذا كان العقل الجمعي محافظاً على الدين كان محموداً، وإذا كان مخالفاً للدين كان مذموماً .

الفصـــل الـــرابـــع
أهـــم الأساليب الدعويـــة الملائمـــة للعقـــل

المبحث الأول: أسلوب الاحتكام إلى النفس .

المبحث الثاني: أسلوب التشويق والإثارة .

المبحث الثالث: أسلوب الالتفات .

المبحث الرابع: أسلوب الإقناع العقلي .

توطئـــــة:

النفس الإنسانية هي مستقرٌ لأشتاتٍ من النوازع والأهواء، وعديد من الأشواق الروحية والحاجات المادية، وهذا الحشد المتعارض المركوز في فطرتها جعل منها ميداناً لمعركة دائمة محتومة، والسلوك الإنساني هو مظهر لنتائج تلك المعركة النفسية، حيث ينفرد المنتصر فيها بالقيادة والتوجيه، وهنا يأتي دور الداعي في تزكية دواعي الخير ودعمها ليعلو صوتها في التوجيه إلى السلوك الطيب، ويتخذ أفضل الأساليب في الإقناع والتوجيه؛ ومنها ما يأتي ..

المبحـث الأول
أسلـوب الاحتكـام إلى النفـــس

أسلوب الاحتكام إلى النفس يجعل المرء يقف أمام نفسه، ويفكر ويتدبر فيما يقال له؛ وهنا يعمل العقل على إدخال القناعة العقلية في النفس فيستجيب الإنسان؛ لأن أجمل شيء للإنسان هو ما يقنعه ويرتضيه لنفسه؛ والمتأمل في القرآن يجده لجأ إلى هذا الأسلوب العقلي لضمان الاستجابة والطاعة؛ ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮊ البقرة: ٢٦٧ .

يقول ابن كثير : (ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮊ أي لا تقصدوا الخبيث ﮋ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮊ أي لو أعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تتغاضوا فيه) [١] .

(فالقرآن يطالب المنفقين الاحتكام إلى أنفسهم، والتفكير فيما يكون عليه الأمر، إذا كان المنفق في مكان الشخص الآخذ، وهذا من أحكم الأساليب، فإن طريقه يكون احترام الإنسان لشعور الآخرين، ومعاملتهم بما يجب أن يعامل به) [٢] .

ومثال آخر يؤكد هذا المعنى من القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ النساء: ٩ .

(ففي سبيل إيقاظ مشاعر الرحمة والحنان في قلوب الأوصياء على اليتامى، يذكرهم النص بأن أولادهم أنفسهم قد يقعون تحت ولاية غيرهم فليعاملوا ما تحت أيديهم بما يحبون أن يُعاّمل به أولادهم من غيرهم، وليكن ذلك دافعاً لهم إلى تقوى الله فيهم، والعدل إليهم، والبر بهم، ومن هنا كانت بلاغة النص في تضمنه ما يضمن الاستجابة إلى التوجيه الرباني لهذا الأسلوب الحكيم) [٣] .

فالدعاة الحذاق يدعون إلى الله على بصيرة ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ يوسف: ١٠٨ .

ومن هذه البصيرة إيثار الأساليب والوسائل القادرة على إقناع العقل والتأثير في الجمهور؛ حتى يؤثروا في نفسيتهم،ويضربوا على أوتارها المتعددة،لتكون الاستجابة أسرع من خروج القطرة من فم السقاء .

---

(١) تفسير ابن كثير، ج١ ص ٣٩٠، المجلد العربي، بدون .

(٢) د/عبد الغني محمد سعد بركة،أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، ص ٣٣٨، مكتبة وهبة، ط/١ سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م .

(٣) أسلوب الدعوة القرآنية، ص ٣٣٨، مرجع سابق .

المبحث الثانـي
أسلـوب التشويـق والإثـــارة

المعلومة السهلة المبسطة المستنبطة من التفكير والتدبر والتأمل أكثر تمكناً في النفس من غيرها؛ لأن النفس تميل إلى التطلع إلى الخبر الذي يكون حوله تشويق بالأسئلة،والاستفسارات، ووسائل الإثارة الأخرى .

والداعي الواعي الفاهم الراشد يستخدم في دعوته هذه الوسائل التشويقية التي تقوم بدورها في تمكين المعاني في النفوس؛ بإثارة تطلعها إلى معرفة الخبر، أو جلاء ما به من إبهام، أو تفصيل ما به من إجمال؛ فإذا ورد المعنى بعد هذه الإثارة العقلية أنست به النفس، وتمكنّ فيها بعد أن سبقه إليها رسولٌ مهد له موطناً مكيناً .

ومن أهم هذه الوسائل:

أ ـ التفصيل بعد الإجمال، والبيان بعد الإبهام:

إذا ألقي الكلام إلى النفس مجملاً استشرقت لمعرفة تفاصيله، وتظل متطلعة بكل حواسها إلى ما سيلقى إليها، فإذا سيق الكلام بعد ذلك مفصلاً وصل إلى أعماقها .

مثال ذلك: قوله تعالى: ژ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ الإنسان: ١٢. هكذا عبّر عن جزائهم في إجمال بأن مصيرهم الجنة، ثم فصّل ما في الجنة من ألوان النعيم فيقول ذاكراً أحوالهم فيها ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ ژ الإنسان: ١٣ . ١٤ .

ومثاله أيضاً: قوله تعالى: ژ ڈ ۀ ۀ ہ ژ الليل: ٤، فقد بين أن مساعي الناس في الدنيا متنوعة ثم فصّل ذلك بقوله: ژ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ژ الليل: ٥ – ١٠ .

ب ـ الإبهام ثم التوضيح: مثل قوله تعالى: ژ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ژ التحريم: ١٠، فقد ذكر سبحانه وتعالى لفظ (مثلاً) مبهماً، ثم فسره بما جاء بعده ليثير تطلع النفس إلى معرفة المراد ويشوقها إليه .

المبحث الثالـث
أسلـوب الالتفـــات

(الالتفات هو الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، كأن يعبر بأسلوب التكلم مثلاً ثم ينتقل إلى أسلوب الخطاب؛ وذلك يكون على خلاف ما يتوقع المخاطب) [١] .

وترجع أهمية هذا الأسلوب في الإقناع العقلي لأنه يجدد نشاط السامع، ويثير انتباهه، لأن المدعو يفكر في هذا الالتفات؛فسرعان ما تتحفه هذه المعلومات في لحظات الإثارة والانتباه فيتأثر بها.

ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ الروم: ٣٩ .

ففي قوله تعالى: ژ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ التفات من الخطاب إلى الغيبة، يقول عنه صاحب الكشاف: (كأنه قال لملائكته وخواص خلقه: فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون، فهو أمدح لهم من أن يقول: فأنتم المضعفون) [٢] .

وهذا الأسلوب مفيد جداً ومؤثر في نفسية المدعو؛ لأنه يؤثر تأثيراً غير مباشر فيجانب الحاسية المفرطة، والعناد، والأنا وحب الذات، فيعظم أثره بأمر الله تعالى .

---

(١) د/ محمد عبد الرحمن الكردي، محاضرات في تاريخ البلاغة العربية، ص ١١١، مطبعة السعادة، بدون .

(٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج ٣ ص ٣٠٥، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون .

المبحث الرابع
أسلوب الإقناع العقلي

الداعي البصير هو الذي يعرض كلامه بأسلوب علمي شيق معتمد على الأدلة النقلية والعقلية، ليقنع عقل المدعو، ويطمئن قلبه، ويُغيِّر سلوكه، يقول العارف بالله الشيخ/ عبد الحليم محمود ~ : (ولكن القرآن لم يكن ليلقي القول على علاته وإنما يأتي بالقضية مبرهناً عليها بالدليل تلو الدليل، فيرضى العقل، ويطمئن النفس، ويقود الضمير إلى الإذعان) [١] .

وهذا الأسلوب العقلي يصلح في مناحي الإسلام المختلفة في العقيدة، والأخلاق، والمعاملات، ويصلح للذّب عن الإسلام ضد المشركين والمشككين والمجادلين؛ ولكن يحتاج إلى دُرْبّة، وفهم، ودراسة، واطلاع على الأساليب المنطقية المتعددة، ودراسة لأساليب الحوار، وضوابط التفكير المنطقي، ويحتاج كذلك إلى دراسة واعية متأنية لآيات القرآن وسنة النبي ﷺ وطرحمهما بأسلوب جديد شيق يثري حياة المدعوين المفعمة بالمتغيرات، والمستجدات، فإذا ملك الداعية هذا الأسلوب فتح الله على يديه قلوباً كثيرةً بأمر الله .

وهذا أنموذج للإقناع العقلي المنطقي في الكف عن الزنا والمحرمات:

جاء في سنة رسول الله ﷺ [٢]: ﴿ أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال له يا رسول الله أتأذن لي في الزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه،، فقال النبي ﷺ أدنه، فدنا منه قريباً قال فجلس، قال النبي ﷺ أتحبه لأمك؟ قال لا، وجعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، أفتحبه لابنتك؟ قال لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال والناس لا يحبونه لبناتهم، قال أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني فداءك، قال ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال أفتحبه لخالتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال ولا الناس يحبونه لخالتهم، فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء ﴾ .

في هذا الحدث النبوي المبارك عدة دلالات:

. سعة صدر النبي ﷺ بالمدعوين؛ حيث إن الشاب جاءه يطلب منه استباحة محرم معلوم من الدين بالضرورة، وهو أمر غريب أثار حفيظة جلوسه ﷺ فغضبوا وانفعلوا، بينما الرسول الكريم تحمل كلام الشاب السائل، لعلمه بخصائصه النفسية التي تدفعه للاستفسار، والاستغراب، والاستنكار، وعدم الرضا عن كثير من الأمور .

وَتَحَمُل النبي ﷺ لانفعال هذا الشاب أزال ما يختلج بصدره من شبه؛ فانصرف الشاب عن الحرام وكرهه، ورسخ الحق في قلبه رسوخ الجبال .

وفيما يلي خطوات الأسلوب الإقناعي العقلي الذي استخدمه النبي ﷺ في هداية الشاب:

١ . تحديد المشكلة: الكف عن الزنا .

٢ . تحديد الحلول الممكنة وتنحصر في اثنين:

أولهما: إباحة الزنا مع رضاه للأهل؛ من البنات والأمهات، والزوجات، والعمات والخالات .

---

(١) الإمام الراحل/ عبد الحليم محمود، التفكير الفسلفي في الإسلام، ص ٥٨، ص ٥٨، دار المعارف، بدون .

(٢) المسند، مسند أبي أمامة الباهلي، رقم الحديث: ١١٢، ج ٦ ص ٢٣٧، وقال الشيخ/ شاكر: إسناده صحيح .

ثانيهما: رفض الزنا لعدم رضاه للأهل؛من الزوجات والبنات والأمهات والعمات والخالات.

٣ . تجربة الحلول كلٍ على حدة:

الحل الأول: وهو إباحة الزنا مع رضاه للأم والبنت والعمة والخالة؛ وهو مرفوض من أي صاحب نفس سّوية؛ فالنفس تأباه وترفضه، والعرف ينكره، فهذا الحل مرفوض لعدم قبوله واستساغته من أي نفس سوية .

الحل الثاني: وهو رفض الزنا لعدم رضاه للأهل والزوجات والبنات والعمات، وهو المقبول، لأنه ما لا يرضاه المرء لنفسه لا يرضاه لغيره .

٤ . اختيار الحل الصحيح: وهو رفض الزنا والامتناع عنه .

وهذا الأسلوب المنطقي العقلي يهدي الحيارى، ويقنع الشاردين، ويستحسن بعد الإقناع العقلي سوق الأدلة من القرآن والسنة والتاريخ حتى يتعاضد العقل مع النقل ويخرجان من مشكاةٍ واحدةٍ .

الخاتمـــــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه ... وبعـد؛؛؛

فبعد فترة من المعايشة مع ذلك الموضوع توصلت إلى عدة نتائج يجب التنويه عليها:

١ . نجاح الدعوة في القرون الأولى كان من أبرز مقوماته: فهم كيفية التعامل مع العقل الفردي والعقل الجمعي، ولقد وجدنا هذا ظاهراً وواضحاً في تعامل الأئمة الأعلام ﷺ مع السائلين، حيث كانوا يفهمون من خلال السؤال، أفضل طريقة للإجابة والاقناع، فكان المشكك، والزنديق، والمجادل يأتيهم للسؤال، فيجيبونه بأجوبة مقنعة للعقل، مرضية للفطرة، فسرعان ما يقتنع السائل، ويخضع للحق، لذا يجب على الدعاة أن يفهموا هذا الأمر جيداً، وأن ينوعوا في أساليبهم الدعوية، ولا يجعلوها قالباً واحداً جامداً، حتى لا تصبح الدعوة أشبه بطلاسم، لا ترضي نفساً، ولا تقنع عقلاً .

٢ . عدم الانصياع للحق أكثره ناتج عن الأفكار المشوشة، فيحتاج المدعو إلى فضيلة التفكير مع الداعية (مثنى وفرادى) حتى تُدْفَع الشبه عنه، ويزال الران عن قلبه، فيهتدي إلى طريق الله المستقيم، وتكمن الأهمية هنا، في أن النفس تتشبث بالإلف والعادة والعرف، والإعلام الموجه، والتربية الحزبية، وأشياء أخرى، وتعيش في عقل جمعي مع الآخرين ترتضي بفعله، وتنقاد لطاعته، فالتخلية بينها وبين التفكير الحرّ، هو دعوة لمراجعة الفكر، واستبصار الحق، والانقياد للخير، لذا نجد الله سبحانه وتعالى يوصي بهذا الأمر في كتابه، قال تعالى: ﮋ ۆ ۈ ۇ ې ېﯦ ﯧ د د ئا ئا ئە ئەئو ئو ئۇ ئۇ ئۆئۆ ئۆ ئۈ ئې ئې ئىﯙ ئى ئى ئد ى ى ﮊ [1] .

٣ . الإنسان لا يعيش وحده في هذا الكون، ولكنه يؤثر ويتأثر، وأخطر ما يطرأ على الإنسان هو التأثر الفكري، لأنه يدفع المرء للعمل بمقتضاه، لذا على الناس أن يتنبهوا لما يدخل في عقولهم من أفكار ناتجة عن عقل جمعي، وقوة ضاغطة تؤثر في عقلهم، ويتعاملوا معها بمصفاة الحق، وغربال الشرع، ولا غرو في ذلك، فلقد وجدنا كثيراً من الأمور الاجتماعية يفعلها بعض الناس بدافع العقل الجمعي، مع مخالفتها للشرع مثل منع البنات من الإرث .

وبعد هذه النتائج السابقة، فإني أوصي بعدة توصيــات:

١ . التركيز على مثل هذه الموضوعات في علم الدعوة، حتى نخرج أساليب متعددة ونبرزها للدعاة تمكنهم من الإقناع والإرشاد .

٢ . أوصي الدعاة بأن يتعاملوا مع مكونات العقل الجمعي بحكمة وتؤدة، فإن كان فيها خيرٌ أبقوه وحثوا عليه، وإن كان شراً عالجوه بالحكمة والموعظة الحسنة .

٣ . التركيز على الدعوة الفردية لاعتمادها أكثر ما تعتمد على الإقناع الذي يأخذ لحمته وسداته من التفكير الهادي، والتدبر المتأني المصبوغ بقوله تعالى: ﮋ ۆ ۈ ۇ ې ېﯦ ﯧ د د ئا ئا ئە ئەﮊ .

٤ . القيام بدراسة تحليلية للأمثال الشعبية والحكم عليها من وجهة نظر الشريعة، حتى يجعلها الناس في إطارها الصحيح، لاسيما وان لها أثر نفسي في حياتهم .

ولله الحمد أولاً وأخراً، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) سورة سبأ، الآية (٤٦) .

أهم المصـادر والمراجـــع

أ ـ القرآن الكريم جل من أنزله .

ب ـ السنة النبوية المباركة:

(١) صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار إحياء الكتب العربية، بدون .

(٢) صحيح مسلم، للإمام/ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/٢، سنة ١٩٧٢م .

(٣) المسند، للإمام/ أحمد بن حنبل ﷺ (١٦٤ . ٢٤١هـ)، تحقيق: حمزة الزين، دار الحديث، ط/١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

(٤) سنن الدارمي، للإمام/ أبي محمد عبد الله بن هرام الدارمي، دار الفكر، بيروت، بدون .

(٥) السنن الكبرى، لإمام المحدثين/ الحافظ الجليل أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الفكر، بيروت، بدون .

(٦) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقى الهندي، مؤسسة الرسالة، ط/ ٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

جـ شروح القرآن الكريم:

(١) تفسير القرآن العظيم، للإمام/ الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المجلد العربي، بدون .

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، للإمام/ أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون .

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة نريد الإسلام، بدون .

د ـ شروح السنة النبوية المباركـة:

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام/ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، ط/١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨١م .

(٢) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، دار الريان للتراث، ط/١، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

هـ بقية المراجع مرتبة ترتيباً أبجدياً:

(١) الأخلاق في إطار النظرية التطورية، أ.د/ طه حبيش، كلية أصول الدين بالقاهرة، سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م .

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، د/ عبد الغني محمد سعد بركة، مكتبة وهبة، ط/١ سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م .

(٣) التعريفات، الإمام علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، ط/١، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

(٤) التفكير الفسلفي في الإسلام، الإمام الراحل/ عبد الحليم محمود، دار المعارف، بدون .

(٥) التفكير فريضة إسلامية، عباس محمود العقاد، دار المعارف، بدون .

(٦) الوحي والإنسان قراءة معرفية، د/محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والنشر، بدون.

(٧) دور الأبوين في تربية الأبناء، د/ محمد محمود متولي، بحث بحولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، العدد الثاني والعشرون، ١٤٢٨هـ . ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م . ٢٠٠٩م .

(٨) شبكة المعلومات الدولية، شبكة أنا المسلم للحوار الإسلامي، بطالة العقول، محمد المصري، تاريخ الزيارة: ١٠/ ١/ ٢٠١٠م .

(٩) شبكة المعلومات الدولية، موقع زيدل، سوريا، حمص، مسافة للوعي، مفهوم العقل الجمعي، تاريخ الزيارة: ١٠/ ١/ ٢٠١٠م .

(١٠) شبكة المعلومات الدولية، نادي الفكر العربي، بحث بعنوان: العقل الجمعي صورة صدام على سطح القمر، تاريخ الزيارة: ١٥/ ١٢/ ٢٠٠٩م .

(١١) الصحاح في اللغة والعلوم معجم وسيط تجديد صحاح، العلامة: الجوهري، والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية،إعداد وتصنيف: نديم مرعشلي، وأسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت، ط/ ١٩٧٥م .

(١٢) ضوابط الفكر، د/ محمد ربيع الجوهري، مكتبة الإيمان بالعجوزة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

(١٣) لسان العرب،للإمام/ أبي الفضل جمال الدين بن منظور،مادة:عقل، دار الفكر، بدون .

(١٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن النجدي، مؤسسة الرسالة، ط/١، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

(١٥)محاضرات في تاريخ البلاغة العربية، د/ محمد عبد الرحمن الكردي،مطبعة السعادة، بدون.

(١٦) مدخل إلى دراسة الثقافة الإسلامية، د/ سمير محمد السيد، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، سنة ٢٠٠١م .

(١٧) المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي، طبعة دار القلم، بيروت .

(١٨) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، تأليف العلامة: أحمد بن علي القمري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، بدون .

(١٩) معجم العلوم الاجتماعية، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، تصدير ومراجعة: د/ إبراهيم مدكور، الهيئة المصرية العام للكتاب، سنة ١٩٧٥م .

(٢٠)من وصايا الرسول ﷺ، طه العفيفي،طبعة دار التراث العربي .

(٢١)مناهج البحث العلمي وضوابطه، د/ حلمي عبد المنعم صابر،ايجيبت ستار للطباعة، ط/٢، سنة ٢٠٠٠م .

(٢٢) النظام التشريعي في الإسلام،د/ محمود الصاوي، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة،ط/٢، سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

الفهـــرس

الموضـــــــــــــــــــوع	رقم الصفحـــة
ملخص البحث	٢
تمهيد: التعريف بالعقل الفردي والجمعي	٤
الفصل الأول: أثر العقل في هداية النفس	١٠ . ١٧
المبحث الأول: اهتمام الإسلام بالعقل وأثره في نفسية المدعو	١
المبحث الثاني: استخدام الدعاة العلام العقل دليلاً هادياً للنفس الإنسانية	١٢
المبحث الثالث: فهم العقل للنصوص وأثره في نفسية المدعو	١٤
الفصل الثاني: المؤثرات الخارجية في العقل الفردي وضوابطه	١٨ . ٢٦
المبحث الأول: المؤثرات الخارجية في العقل الفردي	١٩
المبحث الثاني: ضبط العقل الفردي بقواعد التفكير السليمة	٢٢
المبحث الثالث: ضبط العقل الفردي بالتفكير (مثنى وفرادى)	٢٥
الفصل الثالث: المؤثرات في العقل الجمعي وموقف الداعية منه	٢٧ . ٣٩
مقدمة عن تشكيل العقل الجمعي	٢٨
المبحث الأول: العادات والتقاليد	٢٩
المبحث الثاني: التربية المتحزبة	٣٥
المبحث الثالث: الهزيمة النفسية	٣٦
المبحث الرابع: بلادة الحواس	٣٧
المبحث الخامس: الإعلام الموجه	٣٨
وفي الختام: متى يكون العقل الجمعي محموداً ومتى يكون مذموماً	٣٩
الفصل الرابع: أهم الأساليب الدعوية الملائمة للعقل	٤٠ . ٤٦
توطئة	٤١
المبحث الأول: أسلوب الاحتكام إلى النفس	٤٢
المبحث الثاني: أسلوب التشويق والإثارة	٤٣
المبحث الثالث: أسلوب الالتفات	٤٤
المبحث الرابع: أسلوب الإقناع العقلي	٤٥
الخاتمة	٤٤
أهم المصادر والمراجع	٤٨
الفهرس	٥٠